راسبوتين

الراهب المحتال

تأليف وليم لكيو - الكاتب الروائي الانجليزي الشهير



تعريب احمد رفعت

تطلب من المكتبة التجاريه باول شارع محمد على بمصر

لصاحبها مصطفى محمد

شركة دار الطباعة الفنية

راسپوتين

الراهب المحتال

RASPOUTINE

وهي اعجب رواية ذات حوادث مدهشة

تاليف

ولیم لیکیــة

الــكاتب الروائى الانجليزي الشهير

تعريب

احمد رفعت

تطلب من المــكتبة التجاريه باول شارع محمد على بمصر

لصاحبها مصطفى محمد

شركة دار الطباعة الفنية

شارع كوبرى قصر النيل نمرة ٤٢ مصر

حوادث راسبوتين

ويليام ليكيه

ويليام ليكيه من أشهر روائي الانكليز . ولو شاء أن يدون تاريخ حياته لكان أعجب من وقائع أمتن من رواياته . وهو ذو أفكار موافقة لجميع الشعوب، وبما انه يباشر الاسفار بغير انقطاع من أول شبيبته فقد احتك أثناء جولاته في أرجاء العالم بكل درجات السلم الاجتماعي من قصور الملوك الى مكامن قطاع الطرق .

وقد كان في مبدإ أمره يحترف بمهنة التصوير في الحي اللاتيني بباريس ، ولكن جبلته المفطورة على التقلب بين أيدي الحوادث لم تتفق مع هذه المعيشة الممجوجة التي سأمها في أسرع وقت . وفي إحدى ليالي أغسطس البديعة وحرارة

النهار وشيكة التلطف انطلق الى أرصفة السين والقى آلات رسمه فى مجرى النهر وطلق بتاتاً تلك المهنة التي كانت سبب خموله . وفى الغداة استسلم الى أيدي الاسفار وليس فى جيبه سوى بضعة فرنكات . فطاف أوربا وهو يجنى موارد رزقه حسبما يتيسر له ويملأ حافظته بكل أنواع المعلومات القيمة التي أفادته فيما بعد فى وضع رواياته المدهشة بحوادثها العجيبة وأسرارها الغريبة

وكان نشره قصصاً حافلا بالعواطف المؤثرة الى درجة لفتت نظر الكاتب الفرنسوى الشهير اميل زولا مبدأ ظهوره فى ميدان التأليف . فبحث عنه زولا وشجعه على الكتابة فصمم هذا الشاب على اتخاذها مهنة له وبعد ان قضى مدة طويلة فى باريس شخص الى لوندره واشتغل فيها بالسياسة فانتخب نائباً فى البرلمان وحرر في صحيفة كبيرة وهى الجلوب . ولكن حبه للسياحة حمله على ترك عمله والعودة الى فرنسا

ثم تجول فى اسبانيا وإيطاليا وسيبيريا حيث تفقد سجونها متحريا . ثم اخترق القطر المصرى صاعداً الى السودان ثم قافلا الى اوربا حيث انطلق الى السويد والنرويج فقضى

فيهما عدة أشهر فى الانحاء القطبية. وكان يكتب أثناء سياحاته هنا فى قهوة وهناك فى خان وآونة فى الخلاء تحت القبة الزرقاء وكتاباته دائما تجرى وفق خيالاته وأحلامه . ولم يكن فى الحياة بكل أشكالها مايخفى عليه . فقد تعرف بسائر ملوك أوربا وأمرائها واندمج فى سائر الدوائر العالمية. وخالط أفقر النـاس وأدعاهم الى المرحمة فعرف مايكابدونه من أحوال الانسانية

وقد جعل روابط ثقة بينه وبين دوائر البوليس فى سائر البلاد وبهذه الطريقة حصل على المعلومات الدقيقة التي يمتاز بها الى اليوم عن الجرائم وطرق ارتكابها .

وكان شغوفا بتنويع وسائل اسفارة فبينما يكون مجتازاً أوربا فى سيارته بسرعة البرق اذا به مقيما على هدوء فى الشهر التالى بين ظهراني قبيلة من البلغاريين صار من أخص أصدقائها

وقد تواجد عدة مرار أثناء سياحاته التى قام بها فى سبيل الحصول على معلومات حديثة عن حوادث هائلة فى مواقف مهلكة . فكان هذا الامر سبباً فى صيرورته من أمهر الرماة بالمسدس

ولقداشتغل ليكيه فى انشاء مصلحة الاستطلاع السرى للحكومة البريطانية أثناء تولى اللورد روبرتس وزارة الحربية إذ كانت بينهما رابطة خاصة . وقد كان قبل الحرب على رأس المخبرين السريين المتجولين فى انحاء أوربا لاجل الحكومة البريطانية وكان أول من أنذر مجلس الوزراء بنوايا المانيا العدائية

والتحق بالمعسكر العام الاكبر السربي أثناء حرب البلقان فقام بمهمة مخبر سري يسعى فى ايجاد علائق مابين الحكومة البريطانية وملوك الولايات البلقانية . واذ كان صديقاً للملك بطرس الاول الصربى ولفرديناند ملك بلغاريا فقد اشترك فى المفاوضات التى دارت مابين الملك الاخير والحلفاء وأدت فى النهاية ابرام الصلح

وقد وقف كل حياته منذ نشوب الحرب العامة على تأدية الخدمات الجليلة للمصلحة التى أنشئت ضد التجسس فى انجلترا . وبفضل المعلومات الواسعة الحاصل عليها بشأن الجواسيس وأعمالهم إستطاع إن يقبض على عدد كبير من عمال المانيا السريين الذين أعدموا فى برج لوندره

ووليليام ليكيه هو الآن أشهر كتاب الروايات الحافلة بالعواطف المؤثرة

مقدمة المؤلف

لماذا وضعنا هذا الكتاب

لقد اجتهدت فى ان ارفع النقاب فى الصحف التالية عن وجه البلاط الامبراطورى الروسى وأنشر على الملأ أموراً كانت الى وقتنا هـذا غير قابلة للتصور وللتصديق. وأنا نفسي الذي أعرف الروسيا وقد اجتزتها من فيربالين الى سواحل المحيط الهادى والذى اختلفت مراراً الى القيصر السابق والقيصرة وامتزجت بكثيرين من ذوي المقامات الرفيعة المذكورين فى هذا المؤلف اعترف باني طالما بقيت ممنوعا من قراءة رزم المستندات التي اخفاها لحسن الحظ هذا الفلاح السيبرى الجلف — هذا الرجل الذى كان سارق خيول ثم ارتقى الى مستشار سرى لنيقولا الثاني — فى خزانة حديدية فى قبوه الكائن فى جوروخوفايا ببيتروغراد وبفضل الضوء المنبعث من هـذه المستندات تيسر

اكتشاف علائقه مع القيصر لاقتراف جرم الخيانه وأصبح هذا الاكتشاف من خصائص التاريخ

وسأنشر هنا أعمال هذا الراهب الدجال المدهشة التي تضيف على كل ما قيل عن التجسس الالمانى ودعوته المتناهية فى الاحكام والتنظيم كآلة ضرورية لاعتدائه الحربى على مدنيتنا

ولقد استخلصت المحادثات التي سردتها فى هذا الكتاب من بعض الروسيين الوطنيين . وقد امتزجت حقائق الحوادث بعدد من الروايات المتنوعة. وكل التلغرافات السرية والرسائل نقلتها بنفسي من اصولها التى وضعت تحت طلبى بواسطة بعض الروسيين الموالين لدول الاتفاق والذين يريدون أن يظلوا الآن تحت أذيال الخفاء



راسبوتين

الراهب المجرم

الفصل الاول

أيام راسبوتين الاولى

لقد أظهرت الحرب أشخاصاً غريبين فى أوربا ، ومع ذلك فلم يكن أهم وأنحس من ذلك الراهب الدجال جريجوار نوفيخ النصاب القذر الذي من حسن الحظ قد أصبح اليوم في عداد الهالكين وهو المشهور فى الروسيا باسم راسبوتين

نحن الذين اختصصنا قبل الحرب بالتجول في اوروبا لنكتشف مخبآت السياسة ونعرف من هم أصدقاؤنا — ومن هم أعداؤنا حسب أوامر القضاء والقدر — طالما سمعنا الناس يلفظون بأنباء هذ السكير السيبيري ذي الاخلاق الفاسدة . فقد تمكن بثوبه الدينى الكهنوتي ان يجتذب اليه جمهوراً من الحمقى ومن ذوات التشنجات العصبية بما ابتدعه من الخلط

بين عدة من العقائد والاديان المعروفة فى سائر الازمان من عهد رمسيس الاكبر الى الآن

وكنت موجوداً فى اليكسندروفسك قبل الكارثة العامة بثلاث سنوات وهي قرية صغيرة كائنة على الساحل القطبي تتكسر على صخورها الزرقاء لجج الامواج القائمة ويخيم عليها الظلام مدة اربعة أشهر من العام والكسندروفسك ثغر متصل اليوم ببتروغراد بخط حديدى صغير يجتاز سهولا كبيرة حافلة بالبرك والمستنقعات . وقد صار ذا أهمية عظيمة منذ نشوب الحرب للبلاد الروسية . وفيما أنا أراقب بناء الارصفة التى شرع فى اقامتها حديثاً قدم لي صديقي فولخوفسكي المهندس الروسي راهباً قذراً كريه المنظر ذا عينين لونهما تمتزج الزرقة فيه بالصبغة السنجابية بدرجة تستلفت الانظار . وشكله الظاهري داع الى الاشمئزاز فصرفته ببعض جمل عليها مسحة التأدب

فقال صديقي عند مافارقنا ذلك الراهب

هذا هو جريشكا صاحب المعجزات ، وهو من ذوى الحظوات النادرة لدى القيصر الذي يتقبله فى أية ساعة كانت

فاهتممت بأمر هـذا الرجل ذى الاسرار الذي منع اسمه من الصحف بأمر الرقابة وسألت صاحبي :

ـــ ولمـاذا ؟

فهز صاحبي كتفيه وقال متبسما :

ـــ انهم يقصون عنه قصصاً عجيبة فى موسكو وبتروغراد ولا ريب فى انك قد سمعت بمذهبه الجديد الغريب وبنسائه الاثنتي عشرة النبيلات اللواتي يقمن معاً على بعد شاسع من هنا فى بوكروفسكي

فالتفت لارى ذلك الفظ الذى ابتعد وهو منتعل بحذاء طويل يغطى ساقيه ومرتد بجبـة طويلة سوداء . ولم اكن أتصور انى التقيت بهذا الرجل الذى سبب بنفوذه المشئوم ضياع اسرة رومانوف . ومن قبيـل المصادفة انى وقفت اليوم على تقرير رسمي بأعماله المدهشة . وقد توصلت اليـه بواسطة مصدر خصوصي ثوري ورأيت أن أستمد منه بعض معلومات فى منتهى الغرابة . فأول ما أراه ان الـكنيسة البرافوسلافنية بلا شك ذات مسئولية كبيرة بنفوذها المشئوم وأعمالهـا الدنيئة عن النجاح الذي أدركه جريجوار نوفيخ

باعتبار من فعلة المعجزات . فهذا الفاسق البشع الذى اطلق عليه قرويو بوكروفسكى فى مقاطعة توبولسك السيبيريه اسم راسبوتين (ومعناه باللغة الروسية « رقيع ») كان صياداً شبقا بالفتيات القرويات ومولعا بشراب الفودكا

وبما انه كان فلاحاً روسياً بسيطاً أمياً ذا اخلاق منحطة وصفات حيوانية فلم يكن له من العمل سوى الكسل والفجور والسرقة . وقد قرر التقرير الرسمى الصادر من من محاكم توبولسك وهو الآن بين يدى أن قد قبض عليه بصفته قاطع طريق وسجن مرتين وفي المرة الثالثة جلد علناً وأهين شرفه بدرجة حملته على مغادرة بوكروفسكي فارتاح القرويون لاختفاء سحنته . وترك خلفه امرأة وصبياً اسمه دمتري وبنتين . وغادر كذلك شابة قروية بديعة اسمها جوزيفا كان نصيبها ملاقاة حتفها بعد بضع سنين .

وبعد أن قضى عاماً أو سنتين فى التشرد وخيانة كل التعسات اللواتى التقين به فى طريقه عنت له فكرة باهرة وهى أن يصير « رجلا تقياً » . وهذه الفكرة تولدت عنده من حادثة جرت من قبيلها فى بوكروفسكي ، فقد كان له رفيق

فساد محترف بمهنــة بستانى وهو سكير معربد مثله دخل الـكنيسة البرافوسلافتية وتوصل بنفوذه الى أن يصير مطرانا وفى أغلب البلاد الشرقية وعلى الاخص في الهند وفى الصين ـــ والروسيا ايضاً من جملة هذه البلاد ـــ كثيراً ما يرى المرء امثال هؤلاء « الاتقياء » الشاردين . وما عملهم الا أن يعيشوا « معيشة انجيلية » فيحجوا دائما الى الاماكن المقدسة المتفرقة ويجمعوا الصدقات لاماكن الخير من تعليم وارشاد ويوجد فى انفسهم حب التنعم والكسل والليونة .فوجود هذا البستانى في نظام الكنيسة هو الذى ساعده على الانتظام فيهـا . وقد نجح كلاهما نجاحاً باهراً .

وفيما بعد اعتقد راسبوتين انه ذو مواهب خارقة للعادة وفى الواقع وصل الى لوندره حديثا تقرير من أحد المختصين بالامراض العقلية الذى يعرفه حق المعرفة . وقد استخلصت من هذا التقرير بعد أن اتممت تصفحه بان راسبوتين كان شاذاً فى حالتيه الطبيعية والنفسية . وقوته التنويمية الفطرية ناجمة عن السهولة الاستثنائية التي يقـابل بها الشمس والظل على حد سواء بحدقتي عينيه الزرقاوين . وقليل من الناس من

يفعلون ذلك . وهذه علامة على التفنن فى الاجرام المعروف جيداً لدى اطباء الامراض العقليـة . ولم يتبسم راسبوتين مطلقا حتى اثناء إفراطه فى تعاطى الشراب . فهو يستطيع ان يتناول ثلاث زجاجات من الشمبانيا بدون أن يسكر . والفودكا وهي خمرته المحبوبة لديه تنعشه ولـكنها لا تغيب وعيه .

وهو ذو نفوذ هائل على النساء كيفما كانت أعمارهن ، بل ان رجالا من ذوى المكانة والوقار لم يتأخروا لدى سماعه عن التجرد من ثيابهم الرسمية اللتمعة واتيان أمور مخجلة

ولا توجد امرأة كيفما كان عمرها أو منشأها أو ادبها الغض أو تشبعها بالدين تستطيع أن تظل فى حرز أمين امام هذا الرجل الخبيث المشعبذ المحتال الفاجر الذى لا تقاوم قوة تنويمه المغناطيسية . وكان يعيش بطرق غير شريفة الا انها عيشة رغيدة . وقد بلغ دهائه وسعة حيلته انه لم يدخل ديراً الا أصاب فيه حفاوة واكراما . ومن الاسف ان كثيراً من المحلات الدينية فى الروسيا منتشرة فيها هـذه المثالب ، فلم يلبث راسبوتين ان اصبح فيها علما مشهوراً .

وقد أوجد الراهب الكاذب بمساعدة الكنيسة البرافوسلافية فى بعض الاديرة الاخلاق المنحطة اذا فسد الراهبات وسار معهن سيراً معوجاً ، ومن هذه الاديرة دير نوفو شركسك الكائن على نهر الدون ودير فياتكا ودير سارانوف فى قازان وسواها .

ولقد حدثت في دير نوفوديفيشي (دير العذراء) الكائن على مقربة من ساراتوف وهى مدينة كبيره مشرفة على الفولجا فى منتصف طريق فولجسك حوادث بشعة تداولتها الالسنة ونجمت عنها فضيحة كبرى . فاضطرت الام الكبرى أن تنفض عنها غبار هذا الخزي وتتخلص من غضب الجمهور باستحضار اربعة من أشداء الفلاحين انزلوا بالاب التقى عقابا صارما جعله لايقوى على التحرك من مكانه أياما طوالا

وبعد شهرين كان راسبوتين فى موسكو وقد تحرر له محضراً بناء على تقرير موقع عليه من بول دراجو ميروف مفتاش البوليس السرى في هذه المدينة . وهذا نص المحضر

« تقرير مقدم من ايفان أوبروتشيف عامل البوليس

نمرة ١٢٨٧ من الفرقة الثانية من بوليس موسكو السرى
فى ٢ ابريل

« طبقاً لتعليمات الولاية زرت بناء على أمر المفتش دراجوميروف نمرة ١٨٦ تفيرسكايا المجاورة لمصنع ورق الكارتون ملك لوكوتين فى الساعة الاولى والدقيقة السادسة والثلاثين صباحا اليوم . فرأيت هناك فى غرفة مفروشة ببساط ولكن أثاثها بسيط مجتمع من « المؤمنات العرايا » راكعات أمام الراهب جريجوار نوفيخ . وعدة النساء ثمان وعشرون امرأة بينهن أربع عشرة امرأة من النسوة العاديات . وبدخولي هذه الغرفة مصحوباً برجالي الثمانية رأيت « التقي » يقرأ جملا من الانجيل ممزوجة بشروح من عنده عن التجارب التي تقع على الجسد .وكانت جدر الغرفة مزدانة بصور فوتغرافية مهيجة . وخلف الراهب صورة من إيقونة نوفجورود المقدسة . وقد صار القاء القبض على كل هذه النسوة بعد الباسهن ثيابهن بناء على الامر الصادر لي وسقتهن إلى المركز العمومي حيث سئلن هنالك علي انفراد بعد ان رفضن ذكر أسماءهن

وعنواناتهن . وأغلب هؤلاء المؤمنات الليليات أظهرن حدة وغضباً وبالاخص « التقي » راسبوتين الذى طلب باسم القيصر السماح له بارسال إشاره برقية إلى القيصرة فلم يستطع ضابطي الاعلى ميميلوف رئيس بوليس موسكو السرى أن يمنعه من هذه الخطوه . وكانت النتيجة أن وصل أمر من القيصر فى الساعة الحادية عشر من صباح اليوم التالي باطلاق سراح السجينات ومنع الصحافة من الاشارة الى هذا الحادث بتاتاً . وسافر جريشكا الى العاصمة فى قطار اكسبزيس الساعة ٤ والدقيقة ١٥ بعد ظهر اليوم »

« الامضاء : ايفان أوبروتشيف »

ان هذا التقرير يظهر لنا الادوار الاولى من حياة راسبوتين الحافلة بالدعارة والفساد . ونحن لدينا في لوندره سوامي الشهيرة مع مساعدها الوقح يتعاطيان أمثال هـذه الاعمال الذميمة مع فتيات طاهرات . ولـكن ذلك الراهب السكير المكتسي بالرذيلة ذو الثياب الـكهنوتية قد استغوى فى موسكو أعظم الاسرات الجليلة فضـلا عن نساء الرهبنة فهذا الفاسق المتهتك قد استسلمت اليـه بنات ونساء أشهر

وأرقى أعيان الروسيا وهذا مالم يحدث لحسن الحظ مثله فى انجلترا في سائر سنوات تاريخها المجيـده . ولا يوجد في كل مانشرته من مؤلفاتى ماهو أعجب وأفظع من حياة هـذا الدجال القذر الذى توصل باسم الكنيسة الى أن يساكن وصيفة الامبراطوره الخصوصية بل الى ان يلقن مذهبه الفظيع بنات القيصر الطاهرات

لقد كتبت الصحف كثيرا عن هـذا الماجن الجرىء ولكن اقوالها كانت مستمدة من كتاب غير مزودين بالمستندات الرسمية . اما انا فاريد ان اظهر الحقيقة للجمهور بنشر المستندات التى توصلت اليها وادع له الحرية فى ان يستخلص منها ما يشاء

ان الروسيا حليفتنا العظيمة لبثت بلاد الاسرار وفى مؤخرة الامم. نعم ان لها صحافة ومجلساً نيابيا وهو الدوما وكثيراً من المعاهد العلمية على الطراز الحديث ولكن مدنيتها ظاهرية فقط ـ وهذه الامبراطورية تشبه انجلترا التيودوزيه اى عالم خفي حافل بالفسق والشذوذ والمتناقضات العجيبة . ففى صحائف الاجرام من كتاب الروسيا المتدينة تتراكم الاقاصيص العجيبة

المختصة بهذا « الولي » المتشرد الذى ارتقى من صياد الى المواسى الاكبر والمسلى الاول للقيصرة والآلة التي عجلت باسقاط « نيكى الارستقراطي » عن عرشه

حينما كنت فى صوفيا قبل الحرب كان سفيرنا المفوض فيها السير جورج بوكانان الذي صار فيما بعد سفيراً فى الروسيا وهو سياسي مستنير حازم قام بخدمات عظيمة لانجلترا لم ترها من أحد سواه . وأتذكر اننا تحادثنا ملياً فى أسرار الروسيا والتأثيرات الخفية التى تحيط بعرشها

ولقد كنا بعيدين عن الاعتقاد بأنه سيصير سفيراً لدى البلاط الروسي واني سأتولى تسطير الحوادث السيئة الحافلة بها حياة هذا الماهر المزيف راشبوتين

ولقد انتشر مذهب هذا الرجل الجاهل اثناء زياراته للاماكن المقدسة بسرعة وجمع حوله جمهوراً كبيراً من « الاخوات المطيعات » وأغلبهن من الطبقات الراقية اللواتى جذبتهن هذه الافكار الدينية الحديثة وأثر فيهن تسلطه المغناطيسي المدهش . وفى خلال زياراته جاروسلاف وفولوجدا وفيتبسك وأوريل وسواهن من الاماكن المقدسة صرح

بعدم امكان دخول أية امرأة فى حظيرة الرضاء الالهي من غير أن ترتكب خطيئة الجسد وهذه الخطيئة يصير غفرانها بسهولة

وفى الاحتفالات الاسبوعية التي كانت تحضرها فى الخفاء أنبل سيدات الروسيا طالما وقعت حوادث بشعة اذ ان يتولى الصلاة فى هذه الحفلات ذلك الراهب الفاسق

وفيما بعد شرع هذا الشهوانى فى اتيان « المعجزات » فاستخدامه في هذا الغرض شاباً اسمه أيليا كوسميتش (الذي أبدى أخيراً معلومات وأفضى اليّ ببعض التفصيلات المهمة) وبمساعدته توصل الى التسلط على عقول عدة من كريمات النساء المتزملات بجلابيب العفاف في بيتروغراد وموسكو وكييف

وفى احد الايام عقد اجتماع مؤلفاً من خيرة مشايعاته فى منزل امرأة تدعى السيدة ليتفينوف في سير جيسكايا وهو اشهر احياء بيتروغراد . وقد عامل السيدات الطاهرات اللواتي جئن اليه يهنئنه على عمله الخير عنتهى الاحتقار واسمعهن الفاظه الوقحة المعتاد على التفوه بها وهي المتضمنة دعوتهن الى

« محنة الجسد » مستعينا على تاييد مذهبه هذا ببعض نصوص مبهمة من الانجيل الذى كان يستخدمه لهذا الغرض ، وهذا الكتاب محفوظ فى متحف سكوتلاند يارد (ادارة البوليس)

وكان بين السمعات النبيلات بارونة اسمها كوروكي مصابة بالرماتزم الحاد . فوضع القديس يديه عليها ونظر فى عينها نظره حادة وفاه بالفاظ غريبة ويا للعجب ! فقد سكنت الآلام واعانت هـذه البارونة بانها برئت من علتها . فكان التأثير هائلا جداً . فتقدمت اليه كثيرات من الحاضرات يشكين امراضاً وهمية أكثر مما هى حقيقية فكان يتلو عليهن بعض جمل ويضع يديه على كل واحدة منهن وبالتاثير المغناطيسي يوهمها بانها نقهت من علتها. ولم يجىء اليوم التالى لهذا الاجتماع حتى كانت الانباء قد انتشرت فى جميع انحاء بيتروغراد بسرعة البرق بان جريشكا هو رجل قديس حقيقة قادر على اتيان المعجزات فالتفت حوله العجزة المشوهون والعميان . وبفضل مساعدة ايليا كوسميتش تمكن من التغلب على عقول نساء عامة الشعب كما اختلب عقول السيدات النبيلات . وادخل فى افكار هتة النسوة الساذجات ايضاً انه حاصل على مبدء مقدس

بفضله يصير انقاذ كل اللواتى يدخلن فى اتحاد معه عقلا وجسدا

وفى اجتماع عقده بعد بضعة أيام لدى المدام ليتينوف تواجدت المدام فيروبوفا الوصيفة الاولى فى البلاط القيصرى ذات الجمال الفائق ومستودع اسرار القيصر والقيصرة فاصابها ما أصاب سائر النساء من الخضوع لتسلط هذا الرجل مع انها عظيمة الدهاء واسعة الحيلة. وتسلط هذا المذهب الجسدى على شعورها فأخذ بلبها حتي انها لم تلبث بضعة أيام بعد هذا الاجتماع الا وقدمته الى البلاط القيصرى

أن دسائس المدام فيروبوفا دقيقة وعديدة فهى ليست حديثة العهد بالتأثير المغناطيسي بل بصفتها أمينة أسرار القيصر والقيصرة سبق لها ان شهدت منذ مدة طويلة أعمالا من هذا القبيل قام بها راهب روسى اسمه هليودور بمساعدة فرنسوي صديق له اسمه فيليب . فالامير وريث القيصرية الصغير كان فى حالة صحية سيئة جداً واستدعى هليودور باعتباره ولياً الى القصر بتحريض المدام فيروبوفا ليبتهل لهذا الامير .فأجريت تجارب مغناطيسية متعاقبة فى أتم ما يكون من الخفاء واعتقدت القيصرة من أول وهلة ان الصلات التي بين هذا الولى وذلك

الكائن الاعلى الذى لا تراه الابصار هي التي أحدثت المفعول المناطف فى الطفل العليل . على أن هيليودور لم يلبث أن صب على رأسه جام الغضب من جراء الدسائس التى نصبت له إشراكها الحاشية القيصرية . وبعد بضعة أيام من سقوطه التفت المدام فيروبوفا لاول مرة براسبوتين وخضعت لنفوذه الخبيث . وبما انها اعتقدت بولاية جريشكا ومقدرته على اتيان المعجزات فقد تراءى لها أنه يستطيع ابراء القيصر الصغير . وهى تعرف حق المعرفة أن القيصرة لا يهمها من الحياة الا أمر واحد وهو أن ترى إبنها واضعاً على رأسه تاج آل رومانوف . ومع ذلك فان الاطباء لم يدعوا لها سوى أمل ضعيف فى هذا الامر ، اذا قرروا انه فى نهاية عام وربما فى أول عام يموت . فهل يكون حظ راسبوتين أسعد من حظ هليودور ؟

وجاءت المدام فيروبوفا الى هذا الدجال وعرضت عليه أن يذهب معها الى القصر ، الا أنه أخبرها بأن كل الرجال وكل النساء فى نظره سواء . وقصت هذه المرأة نبأ هذا الحادث على سيدة اسمها المدام كوفالفكو زوجة أحد كبار

موظفي الحاشية القيصرية فاجتمعت به هذه السيدة في منزل تاجر مثرٍ كائن في حي التافر يتشيسكايا امام الحدائق . وحينما عرضت عليه هذه السيدة ان تقدمه الى دائرة البلاط وضع إحدى يديه وراء ظهره والاخرى على صدره ورفع بصره الى السماء ناصباً قامته وأخذ يتلفظ بالفاظ غير مفهومة ثم قال أخيراً :

« ماذا عساني أصنع بسادة الارض وأنا لا أعترف الا بذلك المولى الاعظم الذي يحكم من أعلا السماوات والذي منحني بركته وفتح أمامي سبيل الهدى والشرف والعدل والسلام. ان زعماء الارض يعبدونه في كنائسهم وكتدرائياتهم الفخمة وأما أنا فاعبده جل وعلا في كل مكان ، في الهواء الطلق ، وفي الغابات ، وفي الطرق ، وأنت تعبدينه معي أيتها السيدة بالعقل وبالجسد . » ثم قال وهو يقرع صدره : « آه انك لاتدرين ! ان الله قد اختصني بالمقدرة على العقاب ... كما آثرني بميزة ابراء المرضى . »

وتأثرت المدام فيروبوفا بنظرته الساحرة الممغطسة فهوت راكعة على ركبتيها امامه وقبلت يديه وهي تبتهل اليه بان يذهب

لمقابلة القيصرة غير ان الراهب لم يتحول عما أصر عليه لانه كان يعلم بالسخط الذى حل بهليودور ولم تمد له رغبة في ان يحل به ماحل بسلفه . فاحضرت له فى اليوم التالي المدام فيروبوفا تذكرة بخط القيصرة تدعوه فيها الى الحضور الى القصر لرؤية الغراندوق اليكزيس . فسر من هذه النتيجة لالانه أدرك فقط ان اعماله الاخيرة اقنعت القيصرة بوجوب الالتجاء الى راهب آخر يخلف هليودور بل لاعتقاده ان الكنيسة البرافوسلافنيه المنتشر نفوذها في هيأة المملكة هي التي ساعدت على حصوله على الدعوة التي تناولتها أنامله . ومن هذه الهنيهة ابتدأت سطوة راسبوتين — وهي السطوة التى استعملها في الايذاء الى اليوم الذى انتهت فيه حياته بعدل .

عند ما دخل بعد ظهر يوم عبوس قاعة الامبراطورة الصغيرة البيضاء المذهبة المشرفة على الحدائق وعلى النيفا كانت الاميرة اوبولنسكي والاميرة اوربليانى والكونتة هندريكوف الوصيفات وقوفا بجانب القيصرة وهن يتأملن هذا الرجل الغريب الذى يأتى بالمعجزات والذى

أطلقت عليه سيدات بيتروغراد وموسكو اسم « الاستاذ»

فوقف راسبوتين على عتبة القاعة ونصب قامته وأمال رأسه الى الخلف وحدق ببصره الحاد النافذ طويلا لعلمه بان نظرة قوية من عينيه الزرقاوين كافية لان تخضع جميع الموجودات في المكان لنفوذه المغناطيسى . ولقد تم له ما اراد إذ لم تسلم واحدة منهن من التأثر بهذه النظرة . ثم قال .

« أيتها السيدة الجليلة لقد رغبت حضورى فها أناذا قد حضرت »

فنهضت القيصرة وهي مادة يدها واستقبلت هذا المحتال باهتمام وأدخلته في دائرة حاشيتها . وبعد نصف ساعة قدمته إلى إثنتي عشرة سيدة من أعظم نبيلات الامبراطورية اللواتي دهشن أعظم الدهش من تقواه وتواضعه المصطنعين

وبعد الظهر أخذ إلى وريث القيصرية الراقد فى سرير مرضه . فوضع يديه على الغلام المسكين والقيصرة نفسها مأخوذة بنفس النشوة التي استولت على عقول سائر النساء الاخريات تلك النشوة التي لم يعرفن كيف يعبرن عنها أو يصفنها .

وركع بقربه قائلا : « سأبرىء ابنك » ثم حدق تحديقاً طويلا فى عينيه من غير أن يفوه بكلمة واحدة .

وكانت المدام فيروبوفا تشاهد ما يحدث فتبادلت مع الامبراطورة بظرة الارتياح . ولا غرابة فى أن تناجي الامبراطورة نفسها بصفتها ام ومدبرة أسرة قائلة : اليس هذا الرجل قديساً مباركا وقد شفى الفقراء فلماذ لو شاء لا يشفي ابنى بالمثل ؟

وفي الايام التالية تتابعت المخازي في القصر . إذ فى الاجتماعات التي كان يعقدها فى حضرة وصيفة أو وصيفتين من حاشية القيصرة بواسطة المدام فيروبوفا بالطبع بسط مذهبه المجل . ومن الاسف أن أقواله المملوءة بالجهل والحماقة والفحش التي كانت ترمي الى اقناع سامعاته بوجوب اقتراف خطيئة الجسد لاجل الحصول على الغفران مدعماً أقواله بالآيات المقدسة كانت تصادف قبولا وتصديقا . ولماذا ؟ لان صحة الجراندوق اليكزيس تحسنت تحسناً عظيما . وقد اضطر الاطباء أنفسهم الى الاعتراف بهذا التحسن . ونحن لاندري الى الآن اذا كان هؤلاء الاطباء قد استمالهم الى

جانبه راسبوتين الذى كان حاصلا على ثروة هائلة بالطرق التي كان يستولى بها على عقول البسطاء والبسيطات في كل مكان . على أن المستندات التي بين يدى تظهر أن المعجزات التي كان يتبجح بها الراهب الدجال كان اساسها فى الغالب عقاقير سرية كان له علم مكين باستعمالها . وكيفية حصوله عليها لم تزل أمراً مبهما . الا أن المعروف عنه انه كان ذا علاقة شديدة بطالب صيدلة مشتغل بالصيدلة التيبيتية والصينية واسمه بادمابيف كان يقدم له بعض الادوية الشرقية التي لانعرف الا نادراً باثمان غالية جداً .

ولم تكد صحة الجراندوق تتحسن حتى صار نفوذ راسبوتين لدى القيصرة عظيما جداً. فصار تقديمه الى القيصر الذي رمقه بنظرة استخفاف ولكنه حلم عليه لسبب واحد وهو ان ولده العزيز عليه تحسنت صحته من أدوية هذا الراهب اليومية

وفي هذا الوقت كان مذهب هذا الراهب قد تغلغل فى دائرة الحاشية القيصرية اذ اعتنقته عدة سيدات من الحاشية وطبق بالفعل تعاليمه الجسدية الفظيعة

وتوجد تقارير رسمية تحتوي على تواريخ وأسماء السيدات اللواتي أسلمن أنفسهن الى يدي هـذا الرجل بلا حياء لمشاهدة التطبيقات العملية المخجلة التي سنها مذهبه الدنيء .

وكان راسبوتين أحزم من أن يؤخذ على غرة فقد جرت محادثات بينه وبين القيصر وبين ستوليبين استخلص منها انه معرض لما أصيب به هليودور من قبل . فزعم في أحد الايام انه أهين ببعض ألفاظ بدرت من القيصرة التي كان يخاطبها بلا كلفة كما يخاطب تلميذاته الاخرى ولو ان الامراء والاميرات كانوا يحجمون عن مثل هـذا التبسط . وبعد وداع مؤثر ارتحل الى الدير العجيب الذي كان قد شيده فى قريته بوكروفسكي بالمـال الذي جمعه أثناء حجاته المتعددة (حسبما ذكره للقيصرة) . ولم ينفك عن محادثة اهالي بتروغراد فى شؤون هذا الدير ووصف محاسنه لهم ذاكراً أن زملاءه يعيشون فيـه عيشة الزهد والورع عاكفين على الصلوات . وعند ما أعلن عزمه على الرحيل جزعت العاصمة — أو بالاحرى سيدات الطبقة العليـا — وكانت القيصرة

أشدهن جزعاً .

وبعد سفره الى سيبيريا بأربعة أيام سقط القيصر الصغير مريضاً فجأة فاغتمت الامبراطورة لانها لفظت كلمة شك في حق هـذا الولي الذي شغل مكاناً مهما من حياتها ، فأرسلت اليه التلغراف الآتى الذي عثر به الحزب الثوري وهذا نصه

« لا أستطيع تحمل آلام غيابك . فالحياة بعدك مكفهرة خالية من كل معنى يامسلي العزيز بل يا استاذي . لقد عاد الـكزيس الى مرضه فلا تهتم بما قاله كوكوفتسوف اذ هو المسئول عن نقل ألفاظ لم تفكر فى عواقبها . فسامحنى وعد الينا لاجل خاطري ولاجل حياة الـكزيس »

« اليكز »

ولـكن الفلاح الخبيث لم يغتر بمثل هـذا الاستدعاء . وكان قد دعاه قبل سفره بأسبوع كوكوفتسوف الى مائدة العشاء حيث أسكره الداعى وأصدقاؤه اسكاراً تاما فافضى ببعض الاسرار وهو تحت تأثير الشراب . ولم يستطع الولي أن يعيها فرأى ان يحتجب عن البلاط القيصرى حفظا لكرامته ولموالاة المؤامرة التي دبرها

لقد لبث راسبوتين عامين وهو يلغط بذكر ديره الذي شيده في بوكروفسكي فملأه باحاديثه منتديات موسكو وكييف وبيتروغراد الا انه لم يجيء على بال أحد حتى ولا على بال بوليس بيتروغراد المشهور بالبراعة والتدقيق أن يحقق أمر هذا الدير . فلم يكن أحد من الروسيين يعرف ان في قرية بوكروفسكي تقيم امرأة راسبوتين مع اطفاله .

وأخيراً سافرت فتاة من الحزب الثورى واسمها ڤيرا الييف الي تلك القرية السيبيرية واطلعت على دخائل دجال الحاشية في مسقط رأسه .. ويمكنني أن أزيد على ما تقدم أن الفضل في تحطيم نفوذه بل ومحوه راجع الي مجهودات الآنسة الييف التي لا يعتريها الكلل . وبما انها وقفت على كنه دخائله نظراً لكونها جميلة وجمالها حمله على أن يدعوها الى الاندماج في صف « المتعبدات العاريات » فقد رأيت أن اورد نبذة من تقريرها عن هذا الدير :

« لقد تبين لي أن دير بوكروفسكي العظيم ليس سوى عدة اكواخ بسيطة متجاورة ذات قذارة فظيعة يقطنها فلاحون من أحط طبقة . ولا أثر مطلقاً للقصر المشيد من

المرمر الذي جعله راسبوتين في اقاصيصه كالوجهة الكبرى للدير . والدير نفسه ليس سوى بيت عادى البناء جداً ، ثلاثاً من غرفه تسكنها امرأة القديس وابنة دمتري وكبرى بنتيه . وفى بقيـة البيت تقيم اثنتا عشرة امرأة متفاوتة الاعمار — صغراهن تبلغ السادسة عشرة من السن — وهن تلميذاته الخاضعات له واللواتى تركن حياتهن العادية ليعشن فى وحشة هذا البيت فصرن نساءه الروحيات »

وبعـد ان أتمت الآنسة البيف مهمتها عرضت نتيجة عملها على حزب الشمال في الدوما .

ومع ان القيصرة ووصيفتها الاولى أرسلتا اليه تستقدمانه تلغرافياً فان الفاسق أبى العودة لانه كان على أحسن حال مع راهباته الاثنتي عشرة ولا يريد أن يعرض نفسه مرة أخرى للدسائس والمزعجات . وفضـلا عن ذلك فانه كان قد ملك قلوب فلاحي قريتـه بما كان يجود به عليهم من النقود التي تمكنهم من لذة الشراب . وأصبح يعامل زوجتـه القديمة باحتقـار فظيع وبلغ من أمره أن يرفض حتى الاجابة على الرسائل التلغرافية القيصرية .

الا انه فيما بعد تولاه السأم من عزلته فى ديره الذى كان يختفى فيـه كلما ادعى انه ذاهب الى الحج في البلاد الروسية الواسعة فكتب الى القيصرة يعلمها تلغرافياً بأنه اوحى اليـه أن يذهب لمعالجة القيصر الصغير . فكان لهذا النبأ وقع عظيم فى قصر سيزارسكوى — سيلو حتى ان اشرف سـيدات الروسيا وثبن من اما كنهن ابتهاجاً وأخذن يتداولن فيما بينهن هذه الجملة : « سيعود الينا الاب القديس » ودخلت القيصرة على ولدها العليل فاعلمته بهذا الخبر السار . ولم تتأخر المدام فيروبوفا عن ملاقاة القيصر وهو خارج من مكتبه الخاص ومستغرق فى الـكلام مع الدوق ما كلمبورج — ستيرليتز والوزير بروتوبوبوف والافضاء اليه بهذا النبأ سراً فى أذنه . فتبسم القيصر حبوراً وهو لا يعلم أن قدوم هذا الماهر شؤماً على القيصرية .

الفصل الثاني

فضيحة في قصر الشتاء

ان هذا الراهب الدجال لم يجىء الى قصر الشتاء بقلب مخلص مبتهج بل جاء على زعمه بأمر من الله تعالى . ولهذا كان يعامل القيصرة باستخفاف غير لائق .

وكان وصوله الى القصر الشتوى في أحد أيام الشتاء فما كاد يصعد السلم حتي وجد القيصرة واقفة فى انتظاره وهي تقول له :

— آه . سامحني . سامحني . يا استاذى فقد كنت حمقاء وفاقدة عقلي .

فاجاب الدجال مقاطعاً بجفوة :

— خذيني الى السكزيس فانه مريض ، بل مريض جداً وقد أرسلني الله اليه .

فاسرعت القيصرة بأخذه الى مكان ابنها المريض . وكانت المدام فيروبوفا خليلة راسبوتين تنتظره هنالك مع

ممرضتين وطبيب اسمه ليتشيتزكى . فأمر هذا الحقير الموجودين جميعاً بالخروج من الغرفة وفى جملتهم القيصرة نفسها زاعماً انه يريد الصلاة بجوار سرير المريض منفرداً .

ولما خلا له الجو مع المدام فيروبو فاشرع يصلي . الا انه عند ما أغلق الباب انحنى بسرعة على الصبي ليتأكد من نومه ثم مد يديه الى رفيقته لتقبلهما قائلا لها بصوت خافت

— أين الدواء ؟ يظهر انه أحدث مفعولا حسنا ، على البركة فأين هو ؟

فجذبت المرأة من مشدها الحريرى زجاجة صغيرة خضراء وقدمتها اليه قائلة :

— نعم ان رادماييف صادق فى قوله : فانى كلما وضعت نقطا من هذا المزيج فى لبن الصبي ازداد مرضه اشتداداً .

فقال راسبوتين وهو متهلل الوجه :

— الآن وقد عدت فان الحكمة الالهية سترد اليه الصحة والعافية . فهو لا يتناول نقطه الست كل يوم ..

ثم أخفى الزجاجة تحت ثيابه الكهنوتية وأشار الى

رفيقته قائلا :

ـــ الآن فلتدخل هذه الزمرة المغفلة .

وركع على ركبتيه آخذاً فى الصلاة بحرارة وخشوع قائلا :

ـــ أيها الاله القادر على كل شيء الغافر كل ذنب المانح كل الخيرات والمشرف على الموت وخالق الملوك ومهلك الامم أنت الذي نفزع اليك وأنت الذى نلتمس منك ...

وفيما هو يلفظ بهذه الكلمات فتحت المدام فيروبوفا الباب فدخلت القيصرة ومن حولها

وهكذا استتب لهذا الدجال الامر فى القصر القيصري بفضل هــذا المزيج التيبيتي الذى قد يقضي يوماً على حيــاة وريث آل رومانوف وأصبحت السيدات النبيلات وعلى رأسهن القيصرة يعتقدن انهن لاينلن المغفرة من المولى الاجل الا اذا قمن بمحنة الجسد الذى يمنحهن بهاهذا الفاجر السكير.

وكانت بين وصيفات القيصرة سيدة اسمها الـكونتة، ايجناتيف قبلت فى عداد مؤمنات هذا القصر وصارت من أشد تلمذات راسبوتين تعلقاً به فبذلت كل مجهودها فى ترويج

نفوذه وتشريف سمعته فى الدوائر الرسمية

ونشبت الحرب العامة وصحف الحلفاء تطرى عظمة الروسيا وتصف قوتها بانها لاتغلب ولكن العالم باسره لم يكن ليعلم أن القيصرة كانت تعد بناتها للعبادة السرية التي أصيبت بها المؤمنات وأنهن اضطررن الى قبول هذه العقيدة فى آخر الامر . وهكذا أصبح راسبوتين الذى يلقبه عمال بيتروغراد بلقب (جريشكا) صاحب الحول والطول في البلاط القصرى بعد بضعة أشهر من عودته

وكان فى الساعة الحادية عشرة من صباح كل يوم يركع بجانب سرير الصبى المريض ويتلو صلواته وأدعيته المعتاده والقيصرة راكعة فى احد أركان الغرفة خاشعة تعتقد بصحة ولاية هذا القذر ذى الاظافر الطويلة الوسخة وترى ان وساخته من ضروب التقوى والتقشف ، وما ذلك الا من تأثرها بنظراته الممغطسة

وبعد كل صلاة تنهضه المدام فيروبوفا وهى تقول : « وأخر قلباه ان الاب القديس قد تعب » وتذهب به الى الردهة المجاورة المشرفة على نهر النيفا حيث يكون هناك غلام

حاملا زجاجة من الشراب يجترع هذا الراهب السكير كل ما فيها ثم يمسح شفتيه على طريقة الفلاحين

ولقد لاحظت الآنسة صوفياتوتشيف مؤدبة بنات القيصر على مرور الايام تغيراً في مسلك تلميذاتها . اذ لم يعدن تلكم الساذجات الآخذات بمجامع الالباب. وأطلعت فجأة من قبيل المصادفة على أحاديث متبادلة بصوت خافت ما بين الغراندوقة تاتيانا واختها ماري. ومن جهة أخرى فان راسبوتين أقام في مسكن فاخر من القصر مجاور لمسكن المدام فيروبوفا وفي كل يوم يدخل المكان الذي تتلقى فيه الاميرات الصغيرات الثلاث تاتيانا وماري وآنستازي دروسهن

فأدركت الآنسة توتشيف ما يحدث. وارتكب الراهب غلطة بمحادثته الصبايا الثلاث محادثة اعتبرتها الآنسة توتشيف التي تنتمي الى اسرة من أعرق الاسرات الروسية مجداً خارجة عن حد الذوق فأنهت الامر الى القيصرة .فلم يكن لاحتجاجها من نتيجة سوى الاحتقار الصاعق. وقالت لها القيصرة وهي تتناول الشاي مع اثنتين من وصيفاتها وهما تلميذتين مثلها من تلميذات راسبوتين :

— انى القيصرة والاب المقدس ضيفى فى هذا القصر وما تذكرينه سباب فاحش، فأنت مغضوب عليك ويمكنك أن تنسحبي من هنا

وبعد ساعة تركت هذه المؤدبة التعسة القصر من غير أن تسنح لها فرصة تودع فيها تلميذاتها. وليس هذا الامثال من نفوذ هذا اللص القديم على البلاط القيصري ثم القيصرية الروسية العظيمة. فقد صار نفوذه أعظم من نفوذ سائر الامراء اعضاء مجلس القيصرية وأعضاء مجلس الوزراء. واذا كان صاحب الجلالة هو القيصر فى الواقع فان جريجوار راسبوتين لم يكن أقل منه سلطة بل ربما كان اعظم منه اقتداراً بما له من المنزلة المقدسة وبما يزعمه من اتيان المعجزات وبالعضد الذى يمده به الحزب الكنيسي

وبالنظر لما كان متشبعاً به راسبوتين من الميول الجنائية التي تمتلىء بها رءوس أمثاله رأى أن لا يدع الحوادث تجري فى مجراها الهادىء اذ كان يعلم حق العلم انه اذا كان بروتوبوبوف وزير الداخلية صديقه فان له من الاعداء الاقوياء ستوليبين ومليوكوف الذى صار فيما بعد وزيراً للخارجية. فصار يخشاها

كما يخشى الجراندوق نيقولا ميخايلوفتش . فان هذا الاخير عرف عنه أشياء كثيرة . وفى يوم ما بعد مضي اسبوع من خروج الآنسة صوفياتوتشيف تواجد الجراندوق فى حفلة أقيمت فى قصر الشتاء وفي هذه الحفلة اجتمع عدد عظيم من خيرة الطبقة الراقية فى الروسيا وجرت الرسوم المتبعة فى مثل هذا الاحتفال فى بهو نيقولا والمكان الفسيح الشهير الذى يسع ٣٠٠٠ نفس يرقصون فيه معاً . وجدرانه مزينة بنقوش من الذهب فمنظر المجتمعين للرقص في احدى ليالى المراقص يمثل منظراً متلألئاً بديعاً بما يتوهج من الصلبان والاوسمة والاثواب المتألقة الفاخرة والملابس الرسمية الملتمعة . ومع أن الروسيا كانت في حرب فان المرقص جمع بناءاً على أمر القيصرة كل رجال البلاط الروسى . وكان بين المدعوين رجلان وهما المطران تيوفان من الكنيسة البرافوسلافنية والى جانبه الراهب الصامت الذى التفت حوله أنظار سائر النساء . وأخذ الكبار والصغار من الحضور يتهامسون فيما بينهم وكلمة « المؤمنات » تتداولها جميع الالسنة

واجتاز هذان الرجلان الصالة الكبرى وحديقة الشتاء الفاخرة ثم دخلا الصالة الشرقيـة التي كانت مزينة كذلك بنقوش الذهب والفضة ، ثم اختفيا في احدى الغرف

وكان يتبع هذين الرجلين رجل ذو جبهة مرتفعة كبيرة صلعاء وشارباه مقومان الى على ولحيته قصيرة وهو مرتد بثوب رسمي أبيض متألق مزدان بالاوسمة وبجانبه ضابط شاب خليق ذو شعر اسود وهيئته تدل على الشجاعة والاخلاص فاكبرهما هو الغرندوق نيقولا ميخايلوفتش وأما الشاب فهو الجراندوق دمتري بافلوفيتش فدخلا بغتة على الكاهنين في الغرفة الصغيرة . وقال اكبر الاميرين :

— لقد حضرنا لطردكما من القصر . فان وجودكما فيه ثقيل علينـا وعلى الاخص وجود دجال بوكروفسكي . نحن جراندوقا الروسيا ولا نريد البتة أن نعاشر اللصوص وفتنة النساء فاذهبا من هنا اننا لا نريدكما

فقال راسبوتين : لا مؤاخـذة اذا سألتك بأي حق تخاطبنا بهذه اللهجة ؟

فقال الجراندوق نيقولا : بالحق الذي يخولنيه مركزى

فكان جواب راسبوتين ان بصق على البساط بطريقة مهيجة فاجتذبه ديمتري بافلوفيتش وهو ضابط ذو عضل قوى قادم في الليلة الماضية من الجبهة الروسية من طوقه وأخرجه الى السلم حيث رفسه برجله في عجيزته على مرأى من عدة من حراس القصر قائلا :

— إرموا لى هذا الكلب الى الخارج

وبعد دقيقتين كان راسبوتين متدحرجا من درجات السلم ورأسه في المقدمة وثيابه ممزقة حتّى ارتطم فى الجليد . وفى هذه الاثناء كان نيقولا يسيء معاملة المطران فانتزع بيده الصليب الكبير المتدلى فوق صدره وألقى به الى خارج الغرفة — وأخت هذا المطران احدى زوجات راسبوتين الروحية فى ديره أو خريمه في بوكروفسكي — ولما خرج من الغرفة واقترب من السلم لاقى ما لاقاه زميله من قبل

ولم يتفوه راسبوتين ببنت شفة عن هذه الحادثة للقيصر بل كان الاضطراب سائداً عليه . وقرر فى هذه الليلة أن يجعل ختاماً لهذه الحادثة الفاجعة

وبعد ظهر الغد وهو يوم الاربعاء وهو أحد اليومين

المعينين من كل اسبوع للحفلات السرية تناولا كلة الغذاء مع القيصر والقيصره في مأواهما الخاص وكانت المدام فيروبوفا هي الوحيدة من الحاشـية الحاضرة على المائدة . وبينما كان يخاطب القيصر بلهجته السيبيرية وهو يتناول الطعام من الصحاف باصابعه اذا به قد التفت فجأة الى القيصرة وقال لها:

ـــ سأرحل الى الحج في هذا المساء ايتها السيدة الوقور . لقد دعاني الله الى موسكو حيث ينتظرني هناك عمل . ولست أدرى ما هو ولكني عند ما أصل الى هناك اتلقي أوامره المقدسة وستظل صحة اليكزيس متحسنة مدة غيابي لاني سأصلي لاجله مرتين كل يوم. لقد دعاني الله فلا استطيع البقاء .

ـــ لعل السفر لا يكون في هذا المساء نفسه ؟

ـــ كلا بل ينبغي أن استأذنك أيتها السيدة الوقور لالبي الدعوة .

وفي اكسبريس المساء سافر فعلا في مركبة نوم فاخرة الى موسكو حيث كانت تنتظره في الحقيقه الكونته ايغناتيف أما الدعاء الصادر اليه فلم يكن من الله وانما كان من

الفتاتين الفاتنتين فيرادكزينيا بنتي البارونه كولومزين المتوفية وهما من أهالى موسكو وقد اعربا للكونته ايغناتيف عن رغبتهما في مباشرة العبادة السرية . فارته الكونته صورتهما الفوتوغرافية فادعي هذا الشبق أنه سيحبج وسافر الى موسكو ليضم اليه هتين الفتاتين . وفي غداة اليوم التالي استقبل الفتاتين فى دير الصعود الذي قضى فيه ليلته المنقضية . وخطب أمامهما خطبة توافق تعاليم مذهبه بحضور الام الكبرى وازاء صورة العذراء المكللة بالازهار والمعلقة فى الهيكل . وبعد أن جعلهما تتلوان الصلاة خلفه وباركهما اقنعهما بالذهاب معه الى الحمام التركي ليطهرهما . فقبض على هذا الكاهن الدجال ولم يتخلص من الحبس الابعد أن بذلت الكونتة ايغناتيف مجهودات هائلة وبعد أن قضى ٤٨ ساعة محبوساً . فما زاد راسبوتين على أن قصد بيترزوغراد فلم يكن وصل اليها الا بعد أقل من اثنتي عشرة ساعة عقب وصوله اليها كان بليستشيف رئيس بوليس موسكو معزولا من وظيفته ومغضوبا عليه .

وكان من دهائه يدعي انه صائم وهو يملأ فى الخفاء جوفه بمختلف الطعام ويزعم انه ذاهب الى زيارة الاماكن

المقدسة وهو لم يخرج من بيتروغراد بل يقتصر على تغيير ثيابه وركوب السيارة والطواف بها وهو متخف فى الاماكن التي لا يكاد يعرفه أحد فيها وكان يرسم علامة الصليب وينحنى امام كل صور القديسين عند مروره بجوار واحدة منها وهو يهزأ بها فى باطنه . وبهذه الطريقة استولى على عقول النساء المغفلات

وبعد حادثه موسكو وما أحرزه فيها من الظفر على خصمه مدير البوليس راى أن يتوسع فى نشر نفوذه فى سائر البلاد الروسية . وكان يعلم أن مركزه هذا محفوفا بالمكاره والمخاوف اذ يوجد فى صف أعدائه ستوليبين وهو من أعظم رجال الدولة نفوذاً في ذلك الحين والجراندوقان نيقولا وديمتري والمسيو جوتشيكوف الذى صار فى ما بعد وزيراً للحربية وللبحرية ومليوكوف نائب بتروغراد الغيور وعدا هؤلاء فقد كان ازاءه من الاعداء أكثر من ٥٠ أب أو زوج غضاب وكلهم يتمنون سقوطه . وقد نصبت له المكائد ولكنه توقاها جميعها بخبثة المدهش . وكان صديقه وعميله اليا كوسيمتش يطلعه على الاشراك المنصوبة له

وبينما كان زميله المطران تيوفان قد ساورته الهموم من جراء الحادث المتقدم كان هذا الراهب الجرىء لا يبالي بما يخفه من الاخطار وكان يقول لزميله :

— ان الحكمة الالهية قد أرسلت جريجوار نوفيك الى الروسيا فهو لا يعتريه شيء من الخوف

وبعد حادثة موسكو بقليل وصله خطاب من والد الفتاتين اللتين أغراهما هذا الفاسق يصرح له فيه بعزمه على قتله في أول فرصة تتيح له هذا العمل فلم يتأخر راسبوتين عن الاجابة على هذا الخطاب بواسطة التلغراف الخصوصي لقصر الشتاء بما يأتى :

« اقتل والله يكافىء بنتيك بكرمه العظيم. جريجوار »

على انه وان كان قد أظهر منتهي الشجاعة فقد كان الخوف شاغلا جوانحه لان زلة واحدة منه أما ان تقضي عليه بالسقوط من حالق فيدخل فى حيز النسيان واما أن تسوقه الى غيابة السجن. فلكى يزيل من أمامه كل أسباب هواجسه بدأ فى درس دسائسه المدهشة . فكان أول ما فعله من هذا القبيل ان سعى فى أقصاء أعدائه من المناصب العليا .

ففى يوم ما وقع اختيار القيصرة على سياسى متقلب خائن اسمه بوريس ستورمر وضعت ثقتها فيه لبساطتها وقلة خبرتها . وهذا الرجل كان الزم لراسبوتين من ظله اذ كان هذا الاخير كلما ادعى انه سينقطع الى خلوته للتعبد والتقشف ذهب الى صاحبه ستورمر وخلع ملابسه الكهنوتية لديه وغسل جسده وتعطر وارتدى ملابس جديدة بديعة المنظر وعكف مع صديقه مدة أسبوع على اللهو وحياة الخلاعة الليلية في دونون القديمة او بيلفى أو بوف الكائنة على الفونتانكا . فلم يلبث هذا الرجل الملتصق براسبوتين ان صار رئيس وزارة الروسيا مع أنه من أشد الناس تعلقاً بالمانيا وله اقرباء مقيمون فى بلاد العدو . وهذه الحادثة دلت على مقدار تسلط الراهب الدجال على البيت القيصرى الذي أصبحت رئيسته وسائر أفراد أسرته كقطعة من العجين في يده يشكلها كما يشاء .

وقد جعله هذا الفوز الاخير يرى نفسه ذات سلطة تضارع سلطة القيصر نفسه . وفى الواقع انه كان يصرح لاخصائه وهو يبتسم بانه القيصر . . . من غير تاج ، اذ يقول:

— انى أعيش في القصر ، والقيصرة تصغى لكل رغائبي

وبناتها كانهن اطفالى ، والحاشية تحييني . ونيكـكي يقتصر على الابتسام كانسان أبله . الست امبراطور الروسيا تماماً ؟

ثم طرأ عليه ما استوجب تغيير مقامه . وذلك أن صديقه المطران تيوفان عن له أن يقيم هو أيضاً فى القصر ، فلم يرق هذا الامر في نظر راسبوتين واستاء من صديقه فعزم على أن يتخذ لها بيتاً خاصاً بجوار القصر القيصرى وأقدم بالفعل على تنفيذ هذا العزم مع محافظته على مسكنه في القصر أيضاً .

وما كاد يقدم عليه حتي شاع خبر انتقاله فى سائر الدوائر والاندية وتناقلته الالسنة من مكان الى آخر . فتهافتت عليه أفواج المرضى ليتداووا بادعيته ومعجزاته المدهشة . وهرعت اليه وفود النساء الراغبات فى الاتصال به روحاً وبدناً من اللواتى لم يكن قادرات من قبل على الوصول اليه وهو في القصر وخصص لحفلاته السرية يومين فى الاسبوع يختلي فيهما بالاخوات التلميذات

أما البيت فكان فخما الا أنه ما خلا قاعتين أو ثلاث قاعات لم يكن ذا أساس فخم يخلب الابصار . وكانت توجد فيه قاعات كبيرة فى الدور الارضى عارية من الفراش والرياش ،

لا تحتوى الاعلى مقاعدخشبيه مستطيلة وكراسي من الخشب أيضاً وهى كلها مرتبة على شكل دائرة . والجدران مزدانة بصور القيصر والقيصرة وصورته هو نفسه وقد أعد لنفسه فى الدور الاول قاعة كبيرة بديعة الاثاث ثمينة الرياش جعلها مكتبه الخاص وهذه القاعة تفضي الى غرفة نومه التي تتخطى فى فراشها الفاخر وزينتها قاعة مكتبه . وكانت جموع معتنقات مذهبة المسميات « الاخوات المريدات » تتدفق الى بيته مرتين فى الاسبوع ليسمعن خطبه التي يشرح فيها محاسن مذهبه الجديد .

وكان يوجد بين المجتمعات حوله الاميرة الصغيرة الجميلة بوايارسكي والمدام بيستولكوهرس أخت المدام فيروبوفا والكونتة بيبانشين الكائن بيتها البديع في حي السير جيبفسكايا أنخر أحياء بيتروغراد ، وكذلك الفراندوقة أولغا ابنة القيصرة وسواهن

ومع انه يعقد حفلاته السرية مرتين كل أسبوع فى بيته كما يعقدها مرتين أيضاً في قصر الشتاء القيصرى فان عدداً عظيما من النساء كن ينجذبن بعينيه الساحرتين وتشتاق

نفوسهن لمعرفة المذهب الجديد. فكن يذهبن منفردات الى هذا الراهب على موعد مضروب ويبقين معه فى محادثة خصوصية فى مكتبه المفضي الى غرفة نومه .

وأخذ الناس يتحادثون ويتناقشون في جميع انحاء هذا الشارع الذى يوجد فيه بيته في اقدامه على استغواء النساء الى درجة صرف الزوجة عن زوجها والفتاة عن خطيبها . فاذا مارأوه راكبا عربة اواتومبيل احدى النساء المعجبات به اخذوا يشيرون اليه ويخوضون في احاديثه واذا ماعرفوا المرأة التى معه قالوا :

ــ انظرو الي جريشكا فقد اتخذله زجة جديدة .

وكان يتوفان صديق راسبوتين القديم يحضر احيانا حفلاته السرية . فكان وجوده سبباً في يوم من الايام لطروء حادث فظيع . فقد اظهر راسبوتين اهتماما خاصاً بفتاة عذراء اسمها زرنين كانت قد اعتنقت مذهبه. عديثاو عمرها لا يتجاوز العشرين عاما ويظهر ان الاميرة الصغيرة بوا يارسكى كانت ذات غيرة شديدة من هذا الميل الخاص .

فحدث شجار فى المجتمع السرى مابين المؤمنات فتداخل

المطران وصليبه الذهبي العظيم متدل على صدره فيما بينهن لحسم الخلاف وتهدئيتهن فامتعضت الاميرة من تداخل المطران وخاطبته بشدة واحتجت على قبوله فى هذا الاجتماع السرى الخصوصي واقسمت ان تستعمل نفوذها فى طرده من الكنيسة التي لوث شرفها . فهزأ راسبوتين والمطران من هذا التهديد ولكن لم يمض اكثر من يومين حتى اصبح المطران تيوفان غير معتن به فى البلاط بل صار مغضوبا عليه . ثم ان الاميرة والكونته كلاين ميشيل تمكنتا من طرده من الكنيسة فى مدة ثمانية واربعون ساعة . فحنئذ هدد راسبوتين القيصره بان يغادر بتروغراد مصرحا بان ولي العهد فى هذه الحالة يموت على الاثر وبهذه الطريقة ضمن سلامة مركز صاحبه . هذه هي سلطة هذا الراهب العاهر على البلاط القيصرى فى اثناء التعس ايام الحرب .

وبمعونة مساعده ايليا استمر هذا الدجال على القيام بتأدية معجزاته بين الفقراء وتزامت شهرته فى هذا الباب الى جميع انحاء الروسيا بينما كان نفوذه على الكنيسة الاثوذكسية قد أخذ يزداد الى أن بلغ نهاية الامكان . وكذلك تصرفه فى

مجرى الحرب وصل الى درجة عظيمة . ولم يقبل أن يتسمى باسماء والقاب القساوسة وان كان منتميا الى الكنيسة وما ذلك الا لانه كان يعتقد فى نفسه أنه فوق كل سلطة روحية أو مدينة . وكان يفهم تلميذاته فى أثناء خطبه المخزية ان لا يتطلبوا الحماية والمرحمة المقدستين الا من خلال جسده . فيقف أمامهن قائلا :

— انى اريكن الطريق ، فانما جئت الي هنا لاقودكن الى السلام .

واصبحت سلطته عظيمة فى الشؤون الكنيسية حتى شرع يتقاضى اجوراً على تعيينه في وظائفها اناساً من الذين يلجأون اليه .

وفى عصر احد الايام ذهبت زوجة الكونت ايفانيتزكي الغنى المشهور متنكرة في ثياب خادمتها الخصوصية الي بيت راسبوتين . واحس زوجها بهذا الأمر فاقتفى اثرها وهي راجعة الى منزلها حتى اذا ما دخلته قبض عليها واستدعى جميع خدمه واجبرها على الاعتراف بكل ماحدث لها عند الراهب ثم اطلق عليها الرصاص فسقطت قتيلة تحت قدميه ، وعلي

اثر ذلك ذهب الى ادارة الشرطة حيث اسلم نفسه للسجن .
وبعد ساعة وصل الخبر الى القيصرة وهي جالسة على المائدة مع راسبوتين . فمازاد على شرب قدح الخمر الذى كان فى يده وقال وهو متبسم :

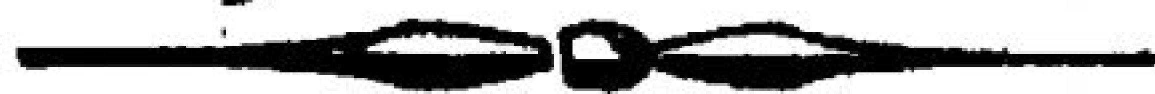
ــ مسكين هـذا الاحمق . لقد صارت الكونته زوجته من المريدات المتفانيات فى العبادة من مدة طويله .

الاّ ان القصيرة خشيت من استياء الجمهور فاصدرت امرها بالتليفون الى ادارة الشرطة باطلاق سراح الكونت فى الحال .

وبعد مضى ثمانية ايام على هـذه الحادثة كان قد عاد الى بيتروغراد ملازم من الفرسان من معسكر رينتكامبف الكائن فى برىست ليتوفسك . وكانت زوجته الصغيرة التي تكاد تعتبر طفلة وهي ابنت بارون يقطن اوستروف تنتظره فى المحطة . فحالما وصلا الى بيتهما تقدم شخص مجهول ودس فى يد الملازم ورقة ينبئه فيها بان امرأته فيرا صارت احدى زوجات راسبوتين الروحية وانها تحضر اجتماعات جوروخوفايا السرية .
فلم يفه هـذا الضابط ببنت شفة بل راقب زوجته بعد ظهر

اليوم التالى وتبعها الى مكان اجتماع « المؤمنات العاريات » . واذ تحقق ان زوجته سحرت بتأثير ذلك الدجال اثناء تواجده هو على جبهة القتال فقد اختبأ وراء باب احد المنازل المجاورة لمحل الاجتماع منتظراً انصراف جميع المؤمنات . وبعد انصرافهن بقليل خرج راسبوتين يقصد ركوب احدى المركبات القيصرية التى تجيء كل يوم لأخذه الى القصر . فخرج الزوج المغضوب الذى يكاد يكون فى حالة جنون من مخبأه وانقض على راسبوتين بقصد طعنه فى صدره بخنجر طويل. ولكن راسبوتين الذي كانت قوته هائلة اقتصر على طرح مهاجمه على الثري بدون ابداء كلمة واحدة ثم صعد المركبة .

وكان رسبوتين يرتدى خلف ثوبه الكهنوتي الخشن قميصاً رفيعاً ولكنه متين جداً يرد كل اعتداء . وهذا القميص صنعته له القيصرة فى باريس كما امرت بصنع مثله للقيصر من مدة غير وجيزه .



الفصل الثالث

(كيف يسم راسبوتين وريث القيصر ويخون بلاده)

لقد تم تأليف الجمعية التى سمح القيصر من ابريل عام ١٩١٤ باجتماعها حول عرشه ، وهذه الجمعية الصغيرة ذات القوة العظيمة كان راسبوتين زعيمها وهو لا يفارق القصر القيصرى ويأ كل من مائدتها فاخذت تعمل فى الخفاء على الكيد للحلفاء بخيانتهم وعقد صلح منفرد مع المانيا . ولقد اصبح ستورمر الذي قلده صديقه الراهب الدجال رئاسة الوزارة مع انه نمسوى ذو سلطة لا حد لها . وذلك انه غرر بالروسيين السذج المخلصين فادخل فى عقولهم انه على وشك ان يمكن الروسيا من الفوز فى هذه الحرب ، ولهذا كان يقابل بالهتاف والتهليل فى طريقه وهو ذاهب الى مقر عمله . ولكن الروسيا علمت اليوم فقط ان هذا الرجل الذى ملأ جيوبه بالذهب الالماني كان يسعى فى عزل الروسيا من الاتصال بحليفتيها انجلترا وفرنسا . وكان يضحك فى سره لما احرزه من النجاح بما قرره من مدخط حديدى يصل ما بين بيتروغراد

والكسندروفسك الذى تصبح العاصمة متصلة بواسطته بثغر غير منجمد المياه تصل اليه البواخر فى كل فصول السنة الاربعة . وقد تم بالفعل اخيراً انشاء هذا الخط

ومن الغريب ان صحافيينا كانوا يعودون من الروسيا محوطين بالابهام لانهم ينشرون المقالات الضافية التى يؤكدون فيها عزم الجيوش الروسية على القيام بهجوم عظيم يكتسحون به جيوش الامبراطورية الالمانية فى طريقهم وهم زاحفون على برلين قبل ان يتمكن الالمانيون حتى من العلم بالعزم على هـذا الهجوم .

ومع اعتبار أهالى بيتروغراد راسبوتين كمخلوق يعيش فى الظلام فان اغلبهم كان يذهب الى انه راهب بسيط منهمك فى التقوى أكبرته النساء الحمقاوات كما تكبر نساء سائر البلاد ومن جملتها بلادنا نحن كل رجل يظهر بدعوة مبتدعة . على ان الرقابة لاسباب خصوصية منعت ورود اسم راسبوتين فى الصحف . ومن المعلوم ان الرقابة فى الروسيا تجرى فى تيار أهوائها . وقدمنعت رواياتي من الظهور في البلاد الروسية من مدة عشرين عاماً لانني بصفتي مراسلا لجريدة التيمس نشرت

فى تلك الصحيفة بعض الحقائق القاسية . وقد التقيت اذذاك بالمسيو ستايل الذى كان سفيراً روسياً فى لوندره وشكوت له هذا المنع فتبسم وقال لي :

— وماذا تبتغى ! ان المراقبة تراقب كتبي الى ابنتي نيجيبى . فارجو منك ان لا تكون قاسي الحكم على الروسيا لاجل هذه المسألة . لقد اجتزت الامبراطورية الروسية الي سبيريا وعرفت بالطبع مقدار تأخرنا فى هذا القرن .

وفى الواقع ان الروسيا لم تتقدم الى الامام سوي خطوات قصيرة فى هذه المدة ولو انها انجبت راسبوتين .

وكان انصار الجرمانيين يجتمعون على التوالى فى منزل راسبوتين الكائن بحي الجورو خوفايا — وهو مسرح الاجتماعات نصف الاسبوعية للاخوات التلميذات ويبثون بطريقة سرية الاعتقاد بان ابرام الصلح المنفرد مع المانيا يعود بالفائدة العظمى على الامبراطوية الروسيا .

. وكان رئيس الوزارة يجتمع يوميا اجتماعاً خاصاً مع صديقه وزميله بروتوبوبوف. والدوق شارل ميشل الذي مع انه وريث جراندوقية مكلمبورج ستريليتز فقد تجنس بالجنسية الروسية

قبل اعلان الحرب بثلاثة اسابيع (وهذا جزء من مؤمراة إمبراطور المانيا المحكمة) وكان باتفاقه مع راسبوتين ينفذ ان برنامج برلين في قاعات تسار سكويوسيلو .

وكان لجريشكا تاثير عظيم فى هـذا الصدد لانه يتواجد فى معظم قصور الهيأة الاجتماعية الراقية فى العاصمة الروسية . ومن الغريب انه كان لا يتناول الطعام فى هذه القصور الا باصابعه وبعد ان ينتهي من الاكل عد يديه القذرتين الى السيدات ليمتصصن اصابعه وينظفنها بثغورهن تبركا بها . وبهذه الطريقة اخـذ الخراج الالمانى يلتهم قلب الروسيا اذ اتخذ راسبوتين هؤلاء السيدات آلات يؤثر بها في مجرى السياسة القيصرية .

وكان ستورمر وبروتوبوبوف والمطران تيوفان وأشياعهم العديدون المنبثون فى الوظائف المختلفة يتظاهرون بالاخلاص والغيرة الوطنية والتصميم على السير في الحرب الى ان تختتم بالظفر النهائى ، واما في الحقيقة فقد كانوا يجتمعون ويتآمرون فيما بينهم خفية لايجاد العراقيل والازمات العديدة . فوقف تموين الجيش بواسطة عصابة من الطماعين الشرهين بل لقد اصبحت الامبراطورية كلها مهددة بخطر المجاعة .

واشتعلت نيران الفتن المتتالية واضطر البوليس الى ان يتولى اطفائها بكل الوسائل عدة مرار . ثم طرأت على ادارة السكك الحديدية حوادث اختلال عديدة ، فانقطع سير القطارت الذاهبة الى سائر انحاء الجبهة . والقيت التهم على عدة نساء اتهمتها هذه العصابة ببيع اسرار الروسيا الي المانيا . وقد اقيمت قضايا عديدة في هذا الصدد ، وسمع كثيرون من شهود الزور وصنعت تقارير مزيفة من عمال مروجين لهذه الدعوة نجم عنها اتهام عدد كبير من الضباط الابرياء الذين لا ذنب لهم الاّ انهم غير مرضي عنهم من راسبوتين وحاشيته .

وقد حدث منظر فظيع فى يوم قصد فيه راسبوتين وزارة الداخلية طالبا مقابلة وكيل الوزارة دزهون هوفسكي الذى كان متوليا ادارة بوليس الامبراطورية . وعندما ادخلوه اليه سأله بوقاحة لماذا يتبعونه برجال من البوليس ولماذا كل اصدقائه الذين يزورنه فى الجوروخوفايا موضوعين تحت التجسس . فاجابه ببرود :

— ان وجبي ايها الاب المحترم يقضي علي بان اعرف كل ما يحدث فى بتروغراد .

ـــ ولكن الا تدري انى معافى من تجسس عمالك الملاعين ؟
وهل تجهل ان بوليس القصر الخصوصي مكاف بحمايتي شخصياً كما انه مسئول من حياة القيصر ؟
ـــ اني لا أقبل حكما على اعمالي غير نفسي.

وكان هذا الموظف الكبير عالما بدخائل راسبوتين واصدقائه من الثوار الذين امدوه بالمعلومات الكافية عن اعمالهم . فاحتدم الجدال بين الشخصين وافضى الى ان يمرض راسبوتين بزوجة هذ الموظف الشابة تعريضاً فاحشا أدى الى هياج الموظف والقائه راسبوتين على الارض . وبعد مضي ساعة كان راسبوتين جالسا مع القيصرة فى حجرتها معصوب العين وهو يقص عليها ماحدث ناسبا اعتداء وكيل الوزارة عليه لمجرد مؤاخذته على اخلاله بحقوق الولاء والاخلاص للتاج القيصرى . واذ كان مصدقا فى قوله فان ما صابه استوجب هياجها وغضبها . وكان هذا الراهب يعتقد ان القيصر والقيصرة لا يصدقان أي نبأ يرفع اليهما عنه بل يعتبران هذا النبأ دسيسة عليه من اعداء التاج ومن حساد هذا الراهب على ماأوتيه من الآثه المتوالية عليه . ونهضت القيصرة غاضبة فى الحال فذهبت

الى القيصر ولم يمض على اجتماعها به اكثر من ساعة حتى كان ذلك الموظف المخلص المسكين معزولا من وظيفته ومني كان أحد مشايعي راسبوتين حالا محله

وحدث فى الاسبوع نفسه حادث آخر ازعج راسبوتين الى درجة عظيمة . وذلك ان القيصر عين سامارين رئيسا للمجمع المقدس وهو تعيين رأى فيه راسبوتين دليلا على قرب سقوطه . وسامارين هذا رجل عفوف النفس شريفها تقى ولذا كان من اشد اعداء راسبوتين وهو يعرف ماضيه وماضي زميله المطران تيوفان وفضلا عن ذلك فقد كان يعرف ان التعيين فى الوظائف الكنيسية لا يتم الا بنفوذ هذا الدجال فى الكنيسة البرافوسلافنيه . وفضلا عن ذلك فقد كان يعلم انهذا الرئيس الجديد عازم على أن ينظف هذه الكنيسة من المساوىء الملتصقة بها فصمم راسبوتين على الكيدله وفصله من مركزه السامي فى الحال. وبعد ثلاثة ايام ذهب الى قصر الشتاء حيث وجد القيصر مصادفة فى مكتبه الخاص فدخل عليه وقال له بلهجة تظهر عليها علائم الاخلاص :

— اسمع أيها الصديق. عندى سر اريد أن افضي به اليك.

لقد كنت في الليلة الماضية مع استورمر فأسر اليّ بأن مؤامرة هائلة جارية فى الخفاء بقصد خلعك

فدفع القيصر كرسيه وصاح مذعورا :

ــ ماذا أفىؤا مرة أخرى ؟ ومن هم هؤلاء المتآمرون الآخرون ؟

ــ ان الزعيم الاكبر لهم هو سامارين ذلك الرجل الذى عينته رئيسا للمجمع المقدس وقد اشار عليّ استورمر بالشخوص اليك على الفور وانبائك بهذا السر

ــ وهل انت على تمام الثقة من ذلك ايها الأب المقدس

ــ انك لتعرفنى فأنا اذا ما حادثتك لا اقول الا الحق فقط

وفى نفس هذا اليوم عزل سامارين من منصبه وحلت عليه نقمة الغضب وقد استقبل الناس جميعا هذا العزل الفجائى بالدهش . وفى مساء هذا اليوم اجتمع راسبوتين بستورمر على مائدة الراح وتقارعا الاكواب وكانت المدام فيروبوفا أمينة القيصرة جالسة معهما تهنئهما بانتصارهما الباهر

على أثر ذلك لم يبق رجل واحد أو امرأة واحدة فى الروسيا لايخشى سطوة راسبوتين . وبعد ان كان يتقاضى اجور

وساطته من عشرات الناس أصبح يتقاضاها من المئات من طلاب الحاجات . والويل لمن خاشن هذا الرجل فان نصيبه لا يكون الا الهلاك . وأصبح راسبوتين يعتبر اقوى واجرأ عمال المانيا السريين المنتشرين فى اربعة انحاء الكرة الارضية

ووصلت فى احد الايام تقارير سرية الى القيصر تنسب الى راسبوتين جرائم فظيعة فاطلع القيصر زوجته عليها . وأحس الراهب بما يمكن أن يهدده من وراء هذه التقارير فرأى أن يتلافى اخطارها الحالية بدون امهال ولهذا دخل على القيصرة فى حجرتها الخاصة بجرأة وقال لها :

ـــ ان السماء قد أطلعتني اثناء احدى تأملاتى على مايكيده لي اعداء الاسرة المالكة فقدنالونى بمسأةالقول وعرضوا للشك تعاليمي المطهرة فجئت اليك لأتزود منك بالوداع .

وكانت القيصرة جالسة وفي حضرتها المدام فيروبوفا والكونته ايغناتييف فانتفضت من كريسها واقفة وقد انقلبت سحنتها وقالت :

ـــ أنت . . . أأنت بالتأكيد مسافر أيها الاب المقدس؟ وهل أنت عازم على مفارقتنا وهذا الصغير المسكين الكزيس؟

ـــ نعم انى بالتأكيد مسافر فان اعدائى والأسفاه قد انتصروا وتغلب روح الشر على روح الخير فى هذه الحرب الفظيعة. واما من جهة الكزيس . . .

وهنا هز رأسه وعلت وجه ملامح الاكتئاب.

فقالت الامبراطورة المسكينة مضطربة :

ـــ آه ! كلا.

ـــ اسمعى فانى لا اخفي عنك الحقيقة. في اليوم العشرين تماماً من يوم سفري يسقط ابنك الكزيس فى فراش المرض ومع الاسف ... لا يعود الطفل المسكين الى النقاهة مرة اخرى.

فاظهرت المدام فيروبوفا ارتياعاً هائلا من هذا التنبؤ الصاعق. واما القيصرة فقد القت صرخة مختنقة وسقطت فاقدة رشدها. فاشار القديس بعلامة الصليب وخرج من الحجرة مطرقاً برأسه.

وبعد نصف ساعة كان مسافراً في طريق بوكروفسكي وقضت القيصرة العشرين يوماً وهي تحت تاثير مهلك من الخوف على ولدها. ومن سوء الحظ ان نبوءة الراهب حدثت تماماً فان وريث التاج القيصري سقط مريضا في اليوم العشرين وحار

في كنه مرضه اطباء البلاط الذين صار استقدامهم على جناح السرعة من بيتروغراد . وعقد اثني عشر طبيبا من مهرة الحكماء جلسة تداولوا فيها في حالة هذه المرض الا انهم لم يتفقوا على التشخيص وهذا مادعا الى ارسال اشارة برقية الى الحظى المقدس لاستقدامه بأسرع ما يمكن .

وكان من المستبعد أن يخطر على بال القيصرة أن وصيفتها الامينة تضع مقداراً من مركب كيمياوى صينى الى وريث التاج من مدة ست ساعات أدى الى سقوط الغلام بين براثن المرض الشديد لتحقق نبوءة الاب المقدس .

وتوالت الرسائل التلغرافية الى ذلك القديس من من القيصرة تستحثه فيها برجاء واستعطاف على الحضور لانقاذ ولدها من الخطر المحدق بحياته . وكانت توقع رسائلها التلغرافية بهذا الامضاء « أختك الك » . وبقيت كل التلغرافات بغير رد .

وبقى الاطباء كاعتيادهم أمام هذه العلة لا يعرفون من أمرها شيئاً . ولا يستطيعون أن يقدموا العلاج المخفف

لوطأتها وذلك لان الراهب الدجال كان يلعب بحياة وريث آل رومانوف .

وقد دلت التحليل الكيماوى على أن الدواء الذى كان يستعمله راسبوتين بواسطة كيماويه بادمابيف عبارة عن مسحوق سام مستخلص من فضلات بعض الحيوانات الصينية مضافة الى جذور تنبت فى أنحاء الصين . وهذا المسحوق يستعمله الصينيون كاكسير لاطالة الحياة وتنقية الدم وتجديد القوى ، الا أن تعاطيه بمقدار كبير يسبب أخطارا ويهيج المجموع العصبى بدرجة شديدة

وبعد مضي عشرين يوماً على سفر راسبوتين وضعت تلميذته الكبرى المدام ڤيروبوفا مقداراً كبيراً فى طعام ولي العهد ثم اخذت تزيد هذا المقدار شيئا فشيئا حتى صارت حالته الصحية داعية الي القلق واصبحت القيصرة كالمجنونة من شدة تألمها وحزنها . وقد صرح الاطباء بانه من الممكن ان يموت مابين ساعة واخرى .

وفى ليلة ما عاد راسبوتين فجأة من غير ان يجيب على تلغرافات القيصر بحرف واحد . وكان مرتديا بثوب الرهبنة

البسيط كانه عائد من سفر بعيد قضاه في زيارة الاماكن المقدسة . ودخل بغتة على القيصرة فى حجرتها قائلا : لها أنى جئت اليك أيتها السيدة النبيلة لابذل جهدى فى انقاذ ولدك

ورسم علامة الصليب على وجهه . فلم تتمالك القيصرة من الوثوب طفرة الي غرفة ولدها والراهب القديس يتبعها حتى اذا ما صار امام الطفل المريض وضع يده على جبهته الباردة وركع على ركبتيه اخذا فى الابتهال بصوت جهوري وهو يمزج الالفاظ المقدسة بالكلمات المبهمة التي اعتاد على ان يوهم بها الاخوات التلميذات ويجعلهن يعتقدن انها من الطلاسم والاسرار الكبرى . ثم قال للقيصرة :

— ان ابنك سيشفى من علته .

وبهذه الطريقة غرس هذا الدجال في نفس القيصرة ان غيابه من البلاط القيصرى يسبب موت ابنها من غير نزاع ولا جدال

وبعد عشر دقائق كانت قد اختلت به فقالت له : ولماذ تركتنا ايها الاب المقدس ؟

ـــ لانك شككت في وانا لاأبقى مع اولائك الذين ليسوا باصدقائى .

ـــ آه ! السماح السماح ابق دائما هنا معنا فانى لن اشك فيك مرة اخرى ايها الاب المقدس . وكل مايقص عنك ليس الا وشايات من اعدائك الذين هم اعدائى ايضا وركعت القيصرة على ركبتيها امام الراهب واخذت تقبل يده بشغف .

وعاد راسبوتين الى بيته فى الجور وخوفايا الذى ماج بوفود الزائرات والزائرين ولم يعد مجتمعاً للنساء المعتنقات مذهبه فقط بل أصبح دائرة النفوذ الالمانى الهائل الذى يريد استغراق القيصرة الروسية . وظل الاب المقدس يشغل مكانته من قصر تزار سكويو سيلو وقصر الشتاء ولكنه لا يبيت في احدهما بل يقضي الليل فى بيته مختلياً بزائر سري او زائرة سريه .

وبعد ان صار صاحب النفوذ الاعظم على القيصر والقيصرة وبيتروغراد برمتها لم يعد يهتم بمذهبه الدينى الذى ابتدعه بل تشاغل عنه بالشؤن السياسية الكبرى . الا انه اراد ان يبقى نفوذه الروحى مستوليا على عقول السذج من عامة الشعب الروسي فكان يقوم من وقت لآخر باظهار شيء من معجزاته

الوهمية بان يستقدم احد الفلاحين من اقصى اطراف الروسيا ويبرئه من علته بالتاثير المغناطيسي وبالتراكيب الصينية ثم ينفحه بعشرات من الروبلات فيذهب هذا الفلاح متاثراً بما رأى وما اخذ وينشر الخرافات العجيبة عنه ، وبذلك ظل حافظا مركزه الوهمي في النفوس . وكان رئيس الوزرة ستورمر وزميله بروتوبوبوف والمطران تيوفان واحد كبار رجال البلاط القيصري واسمه سابوروف واحد كبار موظفي وزارة الخارجية واسمه ايفايتسكي كانوا يعلمون حقيقة معجزات هذا الدجال الا انهم ما كانوا يريدون التشهير بها لان راسبوتين هو سندهم الاكبر وزعيمهم المقتدر ومن مصلحتهم بقاؤه في مركزه السامي وسعته الشهيرة .

وفي هذه الاثناء كان الجمهور في فرنسا وفي انجلترا لايدري شيأ مما يحدث في بلاد القياصره . وكان هؤلاء الاشخاص الذين تقدم ذكرهم ومعهم نحو ستة آخرون من ذوى الالقاب الضخمة والمناصب الفخمة يعملون بهمة عظيمة لالقاء الروسيا بين براثن الاسد الجرماني . وكان كل شيء مرتباً حتى النقود التي سيتقاضاها كل فرد منهم اجراً لخيانته.

وقد علمت القيصرة بكل مايتخذه هؤلاء الرجال من ضروب الدسائس والمكائد فى الخفاء وفى العلن من الكونت كوكوفتسوف ودزهونكوفسكي وكيل الداخلية المعزول والجراندوقين نيقولا ميخايلوفيتش وديمترى بافلوفتش وآخرين سواهم . ومع تكرار رفع هذه الانباء الي القيصرة ظلت ملتزمة جانب الصمم عنها غير راغبة فى استماع شيء عن راهبها العزيز . وفضلا عن ذلك فان الوصيفة انا كانت تقول لها ان كل هذه الاخبار اختراعات لا اساس لها من الصحة وضعها اعداء جريجوار العزيز وحساده على المكانة التي احرزها لدى القيصرة والقيصر . على ان القيصرة كانت معذورة لاعتقادها بان مثل هذا القديس التقي صاحب المعجزات الذى يبرء رضاه ولدها ولى العهد ويمرضه سخطه لا يمكن ان يصدر عنه شيء من التهم الموجهة اليه .

وانهالت على راسبوتين بدر الأموال من مريديه الذين يرغبون في الالتحاق بوظائف الحكومة فكان يكتسب اموالهم من جهة ويستخدمهم فى تنفيذ مقاصده فى دوائر الحكومة من جهة اخرى . ولم يعد يحدث اى شيء في الحكومة الا

بعد اطلاع راسبوتين عليه وابداء رأيه فيه . ومع تظاهره بالغيرة الوطنية الشديدة فانه كان يعمل دائماً بمعول دهائه في تقويض اركان هذه الدولة ومنع جيشها من التقدم في الاراضي الالمانية وتسهيل تقدم الالمانيين ويساعده على ذالك ستورمر وبروتوبوبوف الذى كان يتظاهر بصداقته للانجليز عندما كان وكيل رئيس لمجلس الدوما ويخاطب لويد جورج بغير كلفة وهو فى لوندره . وكان يعاونهما كورلوف احد كبار موظفي وزارة الداخلية بتنظيمه عصابة « المائة السود » المؤلفة من قتلة في زي خفراء المدينة متدربين على اطلاق المدافع الرشاشة .

وفى ذات يوم مات الكسندر ماكاروف احد كتبة اسرار القيصر الثلاثة الخصوصيين فجأة بمرض القلب . فنمي الخبر الى القيصر وهو على مائدة العشاء وراسبوتين جالس على المائدة أيضاً فجزع القصر على فقده . وكان الكسندر هذا مشهوراً جداً في بيتروغراد وله زوجة صبية لاتتخطى العشرين من العمر وهي من معتنقات مذهب راسبوتين مثل الامبراطوره . فالتفت راسبوتين الى القيصر

وقال له بغير كلفة :

ــ ايها الصديق لاحاجة لك الى باجهاد نفسك فى البحث عن سكرتير آخر بدل المفقود فانا اعرف لك رجلا متفانيا في الاخلاص وذا كفاءة عظيمة ومن دم نبيل وهو بول رودزيفتش وساستحضره غدا ليكون سكرتيراً لك وهو سيؤدي واجب الخدمة على أحسن ماتريد .

فابتهج القيصر لان اقدس رجل فى الروسيا اشار عليه عما هو فى مصلحته . وفي الغد كان رودزيفتش سكرتيراً للقيصر . ولم يكن احد يعلم ان هذا الشخص قضى عامين قبل الحرب في المانيا وانه يتقاضى جعلا سنوياً مقدار ٢٥٠٠٠ مارك من قلم التجسس في كونيجراتزستراس ببرلين . فافلح راسبوتين بهذه الطريقة فى ادخال جاسوس المانى على صلة الى ذلك الحين مع امبراطور المانيا الى القصر القيصري .

وتوالت على الروسيا حوادث هائلة بواسطة عصابة راسبوتين كافساد الاطعمة بدسائس كورلوف وكالمخازى الحربية التي سببها احد عمال امبراطور ألمانيا المسمى نيقولاسكي وكالمؤامرة التي ادت الى تدمير مصنع مهم للذخائر وما نجم عن

هذا التدمير من هلاك عدد كبير من الروسيين على مقربة من بيتروغراد والفوضى التي شملت عمليات النقل في الخط الحديدي الحربي على الشاطىء القطبي المار من بين مستنقعات لابونيا .

وذهب الجراندوق نيقولا ذات يوم الي تزارسكويوسيلو وحادث القيصر محادثة مخصوصة لم يحضرها الا سكرتيره رودزيفيتش فقال الجراندوق :

— ان القيصرية الروسية مقضي عليها لان راسبوتين ينفذ خطط المانيا . وقد اكتشفت بعد تحقيق دقيق انه ناشر الدعوة الالمانية ومسبب الكوارث المتعاقبة بدرجة مدهشة

فقال القيصر : ولكنه صديق برتوبوبوف وهذا الاخير كان فى انجلترا وزار مصانع الذخائر التي تشتغل لاجلنا فى ايقوسيا ولاجل الاسطول البريطاني . وحينما قابلته مقابلة خصوصية منذ اسبوعين خاطبني بابهجة تشف عن ميله الى الحلفاء . وما عليك الاّ ان تطلع على خطبته التي القاها اول الامس فى الدوما

— لقد اطلعت عليها ولكنها لم تغير رأيي وهو شريك ذلك الراهب والدوق مكلمبورج — ستريليتز . وانا لا أقبل

ان تكون محاطا بهؤلاء الاشخاص. فاذا لم تتخلص منهم فانهم يجرون اعظم الويلات على اسرة آل رومانوف

— سآمر الرقابة بان لاتذكر اسماؤهم علنا فى المستقبل .

ولم يجرأ احد فيما بعد على ان يذكر اسم راسبوتين مخافة ان يلقى القبض عليه

على ان اسم راسبوتين اصبح لدى الامة الروسية قاطبة اشهر من نار على علم وصارت تعتقد انه ولي ذو كرامات عجيبة يحنو على الضعفاء والفقراء ويواسيهم ويبرئهم من عللهم وان القيصر والقيصرة يجلانه لتقواه ويشركانه فى تناول الطعام على مائدتهما تيمنا به . وحيثما ذهب هذا الراهب سواء الى موسكو امقازان او اودسا او ثيجني يعلن كراهته لامبراطور المانيا ويحث على مواصلة الحرب بشدة متناهية ، فلا يعود احد يعرف او يعتقد ان هذا الدجال سفير سفاح بوتسدام السرى وانه يتآمر فى الخفاء على اهلاك مواطنيه .

وهو داهية فى التحايل ونابغة فى الذكاء لايوجد مثله ما بين الرجال الا على رأس كل مائة سنة واحد . فمع قذارته التي تشمئز منها النفوس وتراكم الادران على شعوره التي كثيراً

ماينقضي عليها اكثر من عام دون ان تغسل او تمشط فانه كان يستولى على قلوب النساء حتى اترفهن حياة وآنقهن هنداماً بدرجة ساحرة وقوة لاتغالب .

وليس ادل على هذه المقدرة الهائلة من الكتاب الذي خطته يد القيصرة الى هذا الراهب وقداسلمه ذلك الجاسوس الذي عينه راسبوتين نفسه سكرتيراً للقيصر الى اعداء استاذه فى مقابل جعل عظيم من المال ، والمال صانع العجائب فى هذه الحرب الكبرى ! وقد كانت القيصرة ارسلت هذا الكتاب الى راسبوتين فى اوائل سنة ١٩١٦ .

وكان الراهب الدجال سافر الى بريم لانشاء فرع للمؤمنات فاستوحشت سيدات بيتروغراد لاغلاق باب بيته فى حي الجورو خوفايا ولازم ستورمر القيصرة ، واما بروتوبوبوف الشيطان ذو القبعة الحريرية كما يلقب فقد سافر الى باريس في مهمة. فارسلت القيصرة هذا الخطاب الى الاب المقدس في دير فيرخوتورسكي ببريم . وهو يكشف النقاب عن علاقة روجة القيصر بهذا الدجال . وهذا نص الكتاب:

« ايها الاب المقدس ، لماذا لم تكتب شيئاً ؟ لماذا هذا

السكوت المميت الطويل في حين ان قلبي المسكين يتنهد من ساعة الى اخرى تشوقاً الى انبائك وكلمها تلك المشجعة ؟

وا أسفاه انى ضعيفة ولكنني احبك لانك كل شيء لدي. آه لو كنت استطيع فقط ان اتناول يدك العزيزة وان اضع رأسي على كتفك ! آه هل استطيع ان اتناسى عاطفة الارتياح العظيم والغياب عن الصواب اللذيذ اللذين اشعر بهما عندما تكون بجانبي ! أما الآن وقد ارتحلت فليست الحياة الا اوقيانوساً قاتم اللون من اليأس. لقد اجتمعت الحاشية بالامس مساء ولكني لم احضر هذا الاجتماع . وقد تلونا أنا (وهي مدام فيروبوفا) وانا كتبك العزيزة وقبلنا صورتك .

اني اريد ان أكون ايها الأب العزيز كما قلت لك بنتاً مخلصة للمسيح ، ولكن وا أسفاه ان هذا أمر عسير . فاعني ايها الاب العزيز ، وصل لاجلي. وصل دائماً لاجل الكزيس (الامير الوريث) . وعد الينا عاجلا . فان نيكي (القيصر) يقول ان الحياة لا تحتمل بغير وجودك لاننا محاطون بزمرة من المرائين . وأما من جهتي فانى اتاهب شوقاً الى رجوعك.

كل شيء منقبض هنا بدون الاجتماعات الاسبوعية .

ولا تزال هذه الحرب دائمة النشوب ، والمانيا توالى انتصاراتها ، وهي لا يسعها الا ان يكون لها الغلب . ولكن يجب علينا ان نظهر الجلد والقوة امام شعبنا الروسي . ليست لى ثقة الا بك . ليعدك الاله الينا قريبا . فان الكزيس يسأل عنك كل يوم . نحن مضطرون للسفر الى يالتا ولكن لن اتحرك من ه ا قبل ان اراك عندنا . اقبلك وكذلك نيكى وانا يقبلانك . بنتك المخلصة اليك »

وينبغى ان نلاحظ هنا ان القيصرة ليست بارعة فى التحرير باللغة الروسية .

ولم يقتصر راسبوتين على افساد قلوب النسوة وعقائدهن بل تناول الكنيسة الروسية فادخل فيها الفساد الى درجة لا يمكن تلافيها فاصبح نصف احبارها من عمال المانيا .

ولا يجب الاعتقاد بان راسبوتين لم تكن له اعداء بل كانت متالفة جميعة سرية مقصدها افشاء اسراره وهتك مستور أمره والتشهير بسمعته . وهذه الجمعية مؤلفة من رجال ونساء تحت اشراف موظف اسمه فيلييف . وكان راسبوتين يعلم بأمر هذه الجمعية الصغيرة ومدبر امورها وقد اتخذ

احتياطه ضدها فضلا عن اهتمام ستورمر وكورلوف ببذل اقصى جهدهما فى المحافظة عليه .

وقد اقسم فيلييف ان يمزق الستار عن حيات راسبوتين وسافر لاجل هذا الغرض الى بوكروفسكى حيث التقط كل المعلومات المخجلة عن ماضي هذا الراهب. فتحايل راسبوتين على استدعاء فيلييف الى بيته وكان موجوداً على مائدة العشاء ايضاً كوريينف الذي اجتذب بواسطته عدوه وقد وعد هذا الاخير بوظيفة رفيعة الدرجة فى وزارة الداخلية .

وجلس راسبوتين على المائدة وحوله المدعوان المذكوران فطلب موظف الداخلية من فيلييف ان يخبر بوليس القصر باسماء اعضاء الجمعية التي الفها ضد راسبوتين . ووعده بنقده خمسة آلاف روبل عملة عند قيامه بهذا العمل وباسناد مركز جليل اليه فى استشارة الوزارة .

فزمجر الفتى عند سماعه هـذه الالفاظ واعتبر الراهب والموظف خائنين وصرح بانه سيذيع فى الحال عملهم المفسد. فلم يزد راسبوتين على ان اقترب منه خلسة وقتله بالمسدس .

وفى صباح اليوم التالي وجدت جثة الشاب ملقاة على

الجليد فى ركن من الكازانكايا. ولعلم اصدقاء القتيل بانه كان لدي راسبوتين فى تلك الليلة ابلغوا الحادثة الى البوليس . ولكن الراهب كان استعد من قبل . اذخف الى القيصر مبكراً وشكا اليه ما ينسبه اليه اعداؤ من التهم الشنيعة ثم قال له :

— انني اطلب حمايتك ايها الصديق . فهل لا تريد ان تصدر امرك الى البوليس بعدم ازعاجي

واذ كان القيصر يعتقد فيه اعتقاداً اعمى مثل زوجته فقد اصدر اوامره بالتليفون فى الحال . فانتهت المسألة عند هذا الحد .

وزاره فى احد الأيام خفية ورنستدت السويدي رئيس البوليس السري الالمانى في ستوكهلم ليأخذ منه بعض المستندات السرية الى القيصر وليدفع له المرتب الشهري المخصص له من قبل امبراطور المانيا . وكان ورنستدت قد قدم الي بيتروغراد ليأخذ تقريراً سرياً من ستورمر عن الاحوال الداخلية في الروسيا فبعد ان اتم مهمته لدي ستورمر شخص الى بيت راسبوتين . وفيما هما يتكلمان معاً كان روشين وهورجل كان

يساعد يبانتشين فى ترويج معجزات راسبوتين بين العوام مصغياً الى مايدور بين الرجلين من الحديث بدون ان يلاحظا وجوده . ولكن راسبوتين الحريص لم يلبث ان احس بوجود هذا الخادم واستماعه جزءا من حديثهما . ولما كان هذا الراهب لايثق باحد فقد انتظر حتى اذاما سافر ذلك الجاسوس من بيتروغراد وضع زجاجة مملوءة بشراب الفودكا فى مكان يراها فيه روشين . فلم يلبث ان تحقق ظن هذا الرجل الهائل ورأى الخادم الزجاجة فتاقت نفسه الى تناول شيء من شرابها وما كاد يشرب قدحاً حتى أحس بالام شديده . وبعد مضي نصف ساعة فاضت روحه على مرأى من راسبوتين .

وبلغ عدد الذين ماتوا من زوار بيت راسبوتين المشؤم الموجود فى حي الجور وخوفايا فى عام ١٩١٦ عشرين شخصاً ، وذلك بفضل العقاقير المتسلح بها هذا الراهب والتى لايستطيع الاطباء ان يعرفوا مفعولها حتي بواسطة التحليل الكيماوي.

ولما تكاثر اعداء راسبوتين واحس بالخطر المحدق به رأى ان يبالغ فى المحافظة على نفسه فتطلع الى القيصرة وهو جالس على المائدة امامها وقال لها فجأة :

— لقد لاحت لي صورة من صور المستقبل اليوم . فعلمت منها انى عند ماأموت لايعيش الكزيس بعدى أكثر من أربعين يوما . وأنا محاط باعداء تحالفوا وآلوا على اهلاكي . وانى اجهل نوع المكائد المدبرة لي : الا اني اعلم فقط ان الكزيس لايبقى بعدى الا اربعين يوما . وبما ان هذه مشيئة الله فانا قابل بان اموت من الغد .

ومن هذا الحين صارت الاحتياطات المتخذة للمحافظة على حياة راسبوتين معادلة للوسائل المعدة للاحتفاظ بحياة القيصر .

الفصل الرابع

(اليد البرلينية السوداء)

لقد صار راسبوتين فى اواسط سنة ١٩١٦ المدير الوحيد لكافة شؤن الروسيا وسادت سلطته علي سائر الدوائر الرسمية وطبقات الشعب بلا تميز ومع كثرة ماقيل عنه بقيت الروسيا باسرها عمياء عن حيل هذا الدجال . وتعددت

فروع مجتمعاته التي تحتشد فيها الاخوات المريدات للقيام برسوم العبادت الجديدة . ومن الغريب ان راسبوتين لم يكن يقبل فى مجتمعاته وفروعها سوى الجميلات اما الطاعئات فى السن او اللواتى غضبت عليهن الطبيعة فلم يقبلهن بين الاخوات المريدات .

وفى احدى الليالى عقدت البارونة جيريبل وهي وان كانت متقدمه فى السن الا انها لا تزال فتية المنظر احد هذه المجتمعات فى بيتها الكبير الكائن في جهة بوتوكنيسكا حيث دعت اليه زوجة احد الضباط المسمي باتشفيسكي وهو مشهور جداً في بيتروغراد وزوجته هذه كانت فتاة صغيرة السن بديعة الجمال. فعلم الضابط بهذه المسألة وكمن لراسبوتين في احدى الليالي على مقربة من بيته ومعه اربعة من رجاله القوزاق الاشداء وانتهزوا فرصة خروج راسبوتين للذهاب الى القصر الشتوي فانقضوا عليه وخلعوا ثيابه الحريرية المزركشة بالذهب ونعليه الفاخرتين واثاروا اكتافة واوسعوه ضربا ورفساً حتى فقد صوابه وطعنوه بالخناجر ثم القوه فوق روث الخيول في احد الاسطبلات القريبة. وحزموا اثوابه

وارسلوها الى القيصرة هازئين مع حمال خصوصي.

فغضبت بالطبع القيصرة وأصدرت أوامرها بالبحث الدقيق عن اولئك الجناة ولكن مباحث البوليس ذهبت هباءا منثورا وظل الفاعلون تحت اذيال الاستتار .

وكثرت رسائل الشكوى من اعمال راسبوتين الى المجمع المقدس فاراد هذا المجمع ان يحقق مع راسبوتين ويقصيه عن الكنيسة فاسرع المحتال الى القيصر والقيصرة وقال لهما :

ــ بالنظر لكوني بفضل الله حاصلا على قدرة شفاء الامراض فان الكنيسة تحسدني . وهذا المجمع المقدس يريد ان يسقطني من مقامي الرفيع ، مع اني لم اعمل طول حياتي الا ما يخفف آلام الانسانية وبواسطتي اصبح ولدكما متمتعاً برضى الله . وعلى الرغم من كل هذه الاعمال الحسنة فان الكنيسة تريد طردي ، فيجب ان اخضع امام هذه الارادة التي لا محيص عنها وان اسافر من الآن الى سيبيريا

فصاحت القيصرة وهي في حالة يأس شديد :

ــ كلا كلا .

ثم التفتت الى زوجها الذي كانت قد شغلته بعض مهام

الدولة فاخذ يعالجها مع وزير الحربيــة في غرفته الخــاصة وقالت له :

ــ نيكــكي نحن لا يسعنا ان نحبذ هــذا التداخل المتبادر من جانب الطغمة الــكهنوتية . ان هذا لأمر فظيع ، اننا لا يمكننا ان نتخلى عن ابينا العزيز . فلتصدر امرك بتقديم قائمة باسماء اعدائه فى الــكنيسة ، وفصلهم من مراكزهم فى الحال، وليحل اصدقاؤنا محلهم .

فقال القديس الــكاذب :

ــ اذا شئتما فدعانى اقوم انا بهذا العمل فانى اقدم قائمة الخصوم واسماء من يخلفونهم

فــكان جواب القيصر :

ــ اني اترك لك تمام الحرية فى اتيان ماتريد ياعزيزي جريجوار .

وفى اقل من اثنتي عشرة ساعة كان كل اعداء راسبوتين فى الــكنيسة مفصولين منها وحل محلهم اناس من اخس الناس وادمنهم على السكر وفى مقدمتهم صديق راسبوتين الوفي واخ احــدى حظياته ومريداته فى سيبيريا المطران تيوفان .

وفى هذا الوقت نفسه والت العصابة الموالية لالمانيا اجتماعاتها السرية فى مأوى راسبوتين ونجح بروتوبوبوف فى منع هجوم روسى جديد باغراء عدة من قواد الجيوش الروسية المخيمة على الجبهة بواسطة النقود الالمانية على تنفيذ الخطط المعدة لهم فنجم عن ذلك اصابة الجنود الروسية بالهزائم فى اثنتي عشرة نقطة من الجبهة.

وكان تاثير هذه الهزائم هو عين ما ارادته العصابة السرية من افهام الشعب الروسى ان المانيا لاتغاب وان عقد صلح منفرد معها خير من استمرار القتال . واستمر راسبوتين واتباعه يبذلون مجهوداتهم لتحقيق هذه الغاية .

وقد قبض على كثيرين من الضباط الذين وقعت عليهم تبعة التقصير والاخلال بالواجب وحوكموا ولكن راسبوتين واشياعه ظلوا بعيدين عن كل مظنه . وكذلك رفع امر عدد كبير من القواد وكبار الموظفين سراً الى وزارة الحربية الا ان الوسائل اتخذت لعدم اثبات اية شبهة ضدهم .

وسولت احدى متلمذات راسبوتين وهى فتاة رائعة الجمال للقائد ماسلوفسكي الذى كان قبل الحرب قائداً للفليق

الرابع عشر فى سمو لنسك وللقائد روزين قائد الفليق الثالث والعشرين النازل فى فارسوفيا حمل الجنود الروسية على المقاتلة وهم متراجعون فى جهة نوفوجورفيسك نظير مبالغ جسيمة مدفوعة لحسابهما فى بنك فولجا كانيا بموسكو . فقاما بما عهد اليهما خير قيام ووقعت فى ايدى الاعداء مقادير هائلة من المدافع الرشاشة والذخائر وسائر المهمات الاخرى .

ولكى يحدث فضيحة كبرى يشغل بها الجمهور عمد هذا الداهية الدهماء الي تحريض وزارة الحربية سراً على القائدين المذكورين فقبضت عليهما الوزارة وحولتهما على مجلس حربي فاعترفا بانهما اغريا بواسطة تلك الفتاة التي دفعت لهما مبالغ عظيمة من الاموال . فقبض على الفتاة ايضا وسيقت الى المحاكمة ولما لم ترمن راسبوتين اقل مدافعة عنها اعترفت بانها مدفوعة من قبل ذلك الراهب الدساس غير انه اكد للمجلس العسكرى ان هذا الفتاة معروفه من البلاط القيصرى بأنها جاسوسة المانية ، وكان البلاط يتحاشى اختلاطها به . فحكم المجلس بادانة هؤلاء الثلاثة واعدموا رمياً بالرصاص فى فناء ثكنة سامارا ، واما راسبوتين فخرج من المكيدة

نقي السمعة اشم العرنين !

والخطاب الآتى الذى اكتشف فى خزانة راسبوتين السرية مابين عدة كتب اخرى وكلها مكتوبة بطريقة الرموز وامكن حلها بمفتاح هذه الرموز الذى وجد مابين تلك الرسائل يدل على ان مصدر كل النكبات التي حلت بالجيش الروسى هى برلين مستخدمة راسبوتين وعصابته. وهذا نص الخطاب

رقم ٧٠ — ١٦ اغسطس سنة ١٩١٦

لقد وضعنا مذكرة بتقاريركم المختصة باعمال كروزنستيرن (وهو قائد الفليق الثامن والثلاثين) وبانضمام ساخاروف ويابانتشين (وهما عضوان قديران فى الدوما). وسيدفع لكم محل اخوان بيركمان الموجود فى كييف مبلغ مائة وعشرين الف روبل محولة اليكم على فرع الكريدى ليونيه ببيتروغراد وكذلك مبلغاً آخر سيدفع لحساب صديقكم س (وهو ستورمر رئيس الوزارة)

والتعليمات الواجب اتباعها هي مايأتي : افهام س هذه الخطة المقررة ضد الدوما واقناعه بوجوب تنفيذها . توجد فى سجلات وزارة الداخلية قائمة باسماء وعنوانات الوف من

الثائرين الروسيين ذوى الميول المتطرفة . ولوشئنا لجعلنا هؤلاء فى بطون السجون او محولين على المجلس العسكرى الذى يحكم باعدامهم رمياً بالرصاص . ومع ذلك فلتكن معاملاتهم بالرحمة والليان . وليعامل صديقكم هؤلاء بصفتهم عمالاً له وليبسط لهم كفه بالعطاء وليعدهم بالمكافات العظمي وبحمايتهم من كل شر وليتراضى امع عدد كبير من الديمقراطين الاشتراكيين ذوى الميول الجرمانية ليستطيعوا دخول بتروغراد ليعملوا باتحادمع الفوضويين الروسيين من تولستوئيين الى سلميين الى شيوعيين فاشتراكيين دمويين . وبفضل دعوة واسعة يقوم بها بعض المهيجين المتحمسين فى مصانع الذخائر يمكننا ان نحدث اعتصابات تؤدى الى نكبات فى الاوقات المناسبة التي تصدر الاوامر فيها . ويجب تحريض العمال على الاضراب عن العمل والبدء بهذه الطريقة في الحركة التي يجب ان تصير اوربا اتحاد جمهوريات اشتراكيه . وهذه الخطة تخلب الباب الطبقات المجدة في العمل ولقد نجحت بالفعل فى كلايد وفي ايرلندا . ان خصمك الالد الوحيد هو جوتشكوف . ولكن يجب ان تعمل بالاتفاق مع القيصرة

لتحويله الى وجهة اخرى . ادمجوا في حزبنا اعظم عدد يمكن ضمه الينا من اعضاء الدوما . وقدموا لنا من وقت الي آخر كشفا بالاموال التي دفعتموها ومحل بيركماز يحول مثالبكم الى الكريدي ليونيه .

نحن ننتظر نتائج خدماتكم الجليلة التي يصرح صاحب الجلالة بانها ستقابل باعظم مكافأة عند ماتصبح الروسيا مابين ايدينا ، وهذا شيء اصبح وشيك الحدوث .

حاشية — حذر س من الوثوق بالجرندوق ديمتري فانه حاصل على كتاب خطر كتبته ناداليتيفينوف بخصوص محاولة اغواء بروسيلوف . ونحن نعتقد ان المرأة ليتيفينوف مقيمة بفندق ريجينا بيتروغراد . فلا تدخروا وسعاً في سبيل الحصول على هذا الخطاب المنتهى الخطر واعدامه .

يجب ان يختفي العلامة ميليوكوف . وقد وضعت لهذا العمل عشرة الاف روبل . ويمكن استدراج اوب الى هذا العمل فان الاثنين محتاجان الى المال احتياجا شديدا .

خبروا أنا (انا فيروبوفا) ان ترجو من القصرة السماح بمقابلة امرأة اسمها جايسمان ستطلب المثول بين يديها يوم ٣٠

اغسطس ظهرا . وهي ستحمل رسالة شفوية الى القيصرة .

من المهم ان تعرفوا السكونته زيا كاوبيف الفورينجية، فانها ذات نفوذ عظيم فى بعض الاوساط العسكرية ، لانها ربما تكون ذات فائدة عظيمة لكم .

هـ (جاسوس لم يعرف شخصه حتى الآن) عين الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ من صباح يوم ٢٩ اغسطس لوقوع كارثة بيروتيكنى الموجود فى كريستوفسكي. فقد وضع سلك كهربائى تحت نهر النيفا وتم اعداد كل شيء .

تحياتنا نحن الثلاثة — ن

فأجاب راسبوتين بما يأتى وقد وجدت صورته فى خزانته الحديدية :

لقد استلمت خطابكم والاشياء التي ارسلتموها . وس مجر العمل . وقد اخبرت جلالتها وكل شيء من الوسائل اللازمة قد اتخذ للقيام بالضربة الفعالة . وبقدر ماتحدث مصائب وضحايا فى مصانع الذخائر تكون النتائج التي تنتظرونها عظيمة جداً . س قد ارسل اربعمائة من الثوار المتطرفين الى الجبهة مزودين بالنقود وبالتعليمات اللازمة

لقد نفذت كل تفاصيل خطابكم . سيحمل مارتوس هذا الى هيلسنجفور حيث ينتظر ردكم والاوامر الاخرى .

لم تصلني تعاليم مطلقاً عن الانجليزي لك . فالرجاء افادتي عما يتبع تجاهه . اني اشير بحبسه بنسبة تهم مزورة اليه ترمي الى التجسس. فاذا وافقتم على هذا الرأي فارسلوا الي مايثبت ادانته والادلة التي تقام ضده . — ج . »

ولكي يتمكن راسبوتين من تنفيذ سائر اعماله في دوائر الحكومة بغير معارض جعل نفسه قبلة طلاب الوظائف فأدى هذ الى ان الاخوات المريدات يقصدنه ويتوسلن اليه ان يعين عشاقهن او ازواجهن او اباءهن او اخواتهن في وظائف الحكومة فيذهب هذا الراهب الى القيصر ويستصدر أمره بل كثيراً مادخل عليه بالاوامر مكتوبة وطلب منه التوقيع عليها فقط .

ثم انه رأى ان يبث نفوذه بين العمال فأوهمهم انه مرسل من قبل الله لينشر الاخاء والسلام في العالم وليحرر العمال من مظالم الحكام وصار يعالجهم وينفحهم ببدر الاموال ويرضى زعماءهم بالاخص فصار ذامكانة لديهم لايبلغ مبلغها أحد .

ولم يقتصر على كل هذا النفوذ بل انتهز فرصة ذهاب القيصر الى جبهة القتال وجعل نفسه هو القيصر الحقيقى فصار يوقع الأوامر التي يصدرها باسمه الخاص بصفته نائبا عن القيصر .

ومع كل هذه السلطة العظيمة التي لم ينلها أحد قبله فى الدولة الروسية فقد كان خاضعاً لاوامر ستاينهاوير رئيس جواسيس امبراطور المانيا الذى كان اصطلاحه الرمزى رقم ٧٠ . وقد التقى به اربع مرات قبيل الحرب وكانت آخر مرة اجتمع به فى بيت راسبوتين ببيتروغراد فى عام ١٩١٤ وكان رجال هذا الجاسوس الالماني الكبير يتوافدون يومياً على منزل الجورو خوفايا في اثناء الحرب .

ووصلت الى بيتروغراد فى ٢٨ اغسطس سنة ١٩١٦ فتاة هولاندية صغيرة جميلة اسمها هيلين جيبسمان . وفى مساء يوم وصولها التقت براسبوتين فى بيته وسلمته خطابا فتلقت الوعد بمقابلة القيصرة في ظهر اليوم التالي .

وفى الساعة المحددة دخلت هـذه الفتاة على القيصرة فى قصر تزارسكوي — سيلو وكان راسبوتين حاضراً هذه

المقابلة فقدمت الفتاة الاوراق التي معها وفي جملتها خطاباً بخط الامبراطور الى القيصرة . فتناولت القيصرة هذه الاوراق وهي تنتفض من الاهتزاز العصبي الذي الم بها ولكنها لم تعد تستطيع ان تخرج عن ارادة راسبوتين الذي سحرها بقوة تأثيره المغناطيسي كما سحر زوجها واصبح الآمر الناهي فيهما. ثم ناولت الفتاة الهولاندية راسبوتين خطاباً بخط الامبراطور نفسه اليه مكتوبا باللغة الالمانية وهذا نصه :

« شخصيا خصوصيا جدا . »

« المعسكر العام الاكبر بفرنسا »

« مونميدي في ١٠ اغسطس سنة ١٩١٦

« لقد أعلمني الهرستاينهاوير بخدماتك الجليلة التي اديتموها لامبراطوريتنا . فاهنئك ويسرني ان اعلم باتخاذ القيصرة الكسندرا مستشاراً نصوحاً حكيماً مثلك . لقد قمت باعمال عظيمة ولكن لا يزال هنالك مجال للعمل ايضا .

فمن الواجب ان يتفق اصدقاؤك على الطرق التي تؤدي الى زيادة اتلاف الأدوات الحربية والذخائر ، وعلى اعلام برلين بالتوصيات التي تعهد بها الروسيا الى انجلترا لترسل

اليها بمقتضاها المدافع والمتفرقعات والسيارات لنتمكن من مطاردة النقالات على شاطىء فنلاندا ونسفها .

ونحثكم على ايجاد حوادث اتلاف فى الخطوط الحديدية وفى مصانع الذخائر والمعامل الاخري ، وسيرسل اليكم ستاينهاوير ستة رجال موثوق بهم لتعهدوا اليهم بادارة هذه الاعمال . فعلى اصدقائكم ان يمدوهم بحمايتهم الرسمية وان يسهلوا لهم مهمتهم .

ولقد اقنعت جلالة القيصر ببعض افكار ستباحثكم فيها . ويظهر ان اشدخصومكم خطراً عليكم الآن اثنان وهما البرنس يورى لفوف الذى له مشايعون عديدون والمسيو خيدز التفليسي . فيمكنكم اتقاء خطرهما بتعطيلهما من كل حركة . ومن الممكن ان تنجحا فى هذا الامر . فاستشيروا القيصرة .

وارادتى الامبراطورية صدرت بمضاعفة المبلغ المالي المتفق عليه فيما بيننا ابتداءامن هذا التاريخ . اهديكم التحيات

غليوم . ر . ا »

ولبثت الفتاة الهولاندية نحو نصف ساعة فى بهو خارج

غرفة القيصرة الخصوصية منتظرة انتهاء القيصرة من استشارة الاب المقدس. وبعد ذلك استدعتها القيصرة وسلمتها كتاباً بخط يدها الى امبراطور المانيا ولا يمكن احد ان يعلم فحواه الا انها لابد ان تكون قد وعدت الامبراطو فيه بانتصار المانيا .

وهكذا اصبحت المانيا واقفة دائماً على كل ماتنوى الروسيا القيام به من المشروعات الحربية فتتخذ لها الاحتياطات اللازمة وبهذه الطريقة تراق فى كل يوم دماء الوف من الابطال الذين تذهب حياتهم ضحية الدسائس بينما راسبوتين يتمتع بكل ضروب الشهوات البهيمية .

ومن شدة حرصه وبراعته فى حيله انه كان يخدع جمهور الحاضرات فى مجتمعاته التى تنعقد فى الاسبوع مرتين بضمه يديه الى صدره والتطلع الى السماء وقوله للحاضرات انه مرسل من قبل الذات العلية لانقاذ الروسيا من العدو المغير عليها . ولولم يفعل ذلك هل كان من المستطاع ان يبقى بجانب القيصر والقيصرة ؟

وفي غضون الشهر التالى حدثت عدة حوادث مخلة

بالنظام والأمن العام . فمن ذلك وقوع اربعة انفجارات متتالية في مدد قصيرة جداً اثنان منها في بيتروغراد وواحد في موسكو وواحد في كوستروفنا . وفي كل واحد منها يموت عدد كبير من الاشخاص . وخرجت عدة قطارات محملة بالجنود من خطوطها . وبهذه الطريقة اصبحت مخالب النسر الالماني الاسود ناشبة في قلب الروسيا .

وفي احدى الليالي اجتمع راسبوتين مع ستورمر والبارونة جليفسكي ومدام بانتوكين وهما شابتان جميلتان متزوجتان من مريداته ومشهورتان جداً بجمالهما وخلاعتهما في بيتروغراد وفيما هم يتنادمون على مائدة الراح في بيت راسبوتين اذا بخادمه الخاص دخل عليه فجأة وناوله خطابا ففض غلافه وبعد ان تلاه اكفهر وجهه وقال لندمائه :

— نحن امام خطر !

قال ستورمر — وما الذى حدث ؟

— لقد قبض على ليتشيتسكي !

— ليتشيتسكي ! حقيقة ان هذا أمر جدى بالنسبة لنا . ولماذا قبض عليه ؟ ومن ذا الذى اجترأ على هذا الامر ؟

ـــ لقد اصدر جوتشكوف وزير الذخائر امره بالقبض عليه . لانه اختلس ثمانين الف روبل

ــ لتنصب اللعنات على جوتشكوف ! وفي هـذه الحالة لايستطيع صديقنا بروتوبوبوف وزير الداخلية ان يفعل اي شيء مفيد له !

فسألت الفتاة الشقرا وهي آخذة يد الاب المقدس بين يديها.

ـــ وهذا الأمر حقيقه خطير جدا ؟

فأجاب الراهب وهو ينظر الى الشابتين نظرة تخلب لبيهما:

ـــ نعم خطير ! بل خطير جدا، واذا حكم عليه لايتاخر عن اتهامنا . ونحن لانرضى بهذه النتيجة . وقد ارسل الى هذه الرسالة السرية طالباً منى السعي في الافراج عنه في الحال . وهو حاصل على رسائل ومستندات بخط يدى ، فلو ظهرت لافتضح امرنا لدى الجميع .

قال ستورمر ـــ يجب منع هذا الأمر كيفما كلفنا من المجهودات فان ميليوكوف او كيرينسكي يمكنه ان يقف على سر المسألة من وقت الى آخر .

قال راسبوتين ـــ لقد قبضت على كيرنسكي مرة اخرى

بالامس لاجل خطبته التي القاها في الدوما . وانى من رأيك في وجوب منع التحقيق مع ليتشيتسكي في الحال . فاننا جميعاً في خطر عظيم .

فقالت البارونة الحسناء وهى من اشهر المتهتكات في الروسيا:

— الا يمكنني ان اؤدي عملا نافعاً لكم ؟

فاجاب الراهب — نعم انك تعرفين الوزير رجو تشكوف فاذهبي وقابليه في بكرة الصباح واجتهدى في ان تتوسطى لمصلحة ليتشيتسكي . وخذى معك ثمانين الف روبل ساعطيها اليك حالما تفتح المصارف المالية ابوابها . وافهمي الوزير ان ليتشيتسكي عشيقك وانه انفق المبلغ الذى اختلسه في تقديم الهدايا اليك ثم ادفعى اليه المبلغ المختلس .

قال ستورمر — فكرة بديعة ! انك لذو قريحة وقادة كلما تحرج مركزك او جدت لك منه مخرجا ياجريجوار !

قال راسبوتين — وبهذه الطريقة نكتسح العراقيل من طريقنا لنتمكن من القيام باعمال اخر . ويجب ان نذهب الي القيصرة فى الحال ولا يزال الوقت يسمح لنا بمقابلتها

وانفض مجلس الراح نخف المتامر اذ الى القصر القيصرى

وانصرفت الفتاتان الفاتنتان الى بيتهما .

ولما دخلا القصر لم يجدا أحداً من الحاشية متيقظاً حتى الخدم وانما الفيا الاميرة اولغا كبرى بنات القيصر واختها التي دونها سنا وهما من تلميذات راسبوتين المريدات وقد اعتنقتا مذهبه منذ اكثر من سنة . وكانت الاميرة تقرأ رواية انجليزية في حجرتها الصغيرة فما كادت تراهما حتى دهشت لقدومهما في مثل هذه الساعة . الا انها عجلت بمخابرة القيصر بالتليفون الخصوصي .

وبعد دقيقتين حضرت القيصرة وعلى رأسها قبعة من الدانتلا اللطيفة وجسدها الناعم ملتف بحرملة من الحرير ودخلت الغرفة التي كان المتآمران ينتظرانها فيها .

ولما اختلى الثلاثة اخبر راسبوتين القيصرة بنبأ القبض على ليتشنيتسكي ثم قال لها :

ــ وانك لتدركين الآن مقدار الخطر المحدق بنا . واذا ما تحول هذا الرجل على المحاكمة فانه يعتقد باننا لم نسع في خلاصه ومن المحتمل ان بعض الكتب التي ارسلتها اليه تعرض في الجلسة وحينئذ تنكشف خططنا وتنهض الروسيا

لسحقنا . انك الى الآن غير مظنون فيك الميل الى المانية فانت القيصرة الوطنية العظيمة ، ولكن اذا اتخذت هذه القضية مجراها فان الحقيقة لسوء الحظ تظهر للعيان .

— ولكن ايها الاب المقدس ماذا عسى ان اصنع ؟

— يجب ان ترسلي تلغرافاً الي زوجك في الحال ليصدر امره بوقف التحقيق .

— سافعل كل ماتريد .

واخذت بالفعل تكتب للقيصر الذى كان هذه الليلة فى الجبهة مع جنوده الشجعان . وهذا ما كتبته اليه :

« بول ليتشيتسكي وكيل وزارة الذخائر قبض عليه لاجل اختلاس . ومن الضرورى لاجل سلامتنا وضع حد لهذه المسألة واقل تاخير يكون فيه ضرر علينا . وساشرح لك كل شيء عند عودتك فارسل اوامرك بالتلغراف ليطلقوا سراحه حالا ولابطال كل اجراآت التحقيق المتخذة ضده وانى منتظرة عودتك . الكس »

ثم طلبت من الراهب ان يحضر لها صحيفة الرموز اذ كان يعرف مكانها فلم يتأخر عن احضارها فى الحال وبمقتضاها

حرر ستورمر التلغراف بالطريقة الرمزية وذهب الى عامل تلغراف القصر وكلفه بارساله فى الحال

وفى الساعة العاشرة من صباح الغد جاء الرد الآتى بالرمز من القيصر الى القيصرة وهذا نصه :

« لست ادري كيف تمسنا محاكمة لص لا اعرف اسمه. ومع ذلك فقد اصدرت امرى باطلاق سراحه وابطال التحقيق . نيقولا »

فارسلت القيصرة نسخة من هذا التلغراف المطمئن الى راسبوتين وبعثت الى القيصر بالرد التالي :

« اشكرك على كرمك العظيم . ومع ذلك فما اقل هذا فى جانب فضالك ! ان المتهم كان سيذهب ضحية بريشة لاعدائه ، فعملك دل في آن واحد على انك كريم وعادل . ان ابانا وانا ننتظر عودتك بنافذ الصبر . الكس »

الفصل الخامس

(ماوجد فى دوسييه راسبوتين السرى)

عزم راسبوتين على القيام بسياحة يدجل فيها على الشعب

الروسي بمعجزاته الوهمية فاختارت الحاشـية في مدة غيابه الراهب هليودور ليقوم مقامه فى تلقي اعترافات الاسره المالكة ، الاّ انه لم تلبث ان طردته بسبب وطنيته الصادقه. فبعد مدة طويلة افضى الى رجال الثورة بدخائل مهمة عما عرفه عن الاسرة القيصرية .

وفي ذات يوم اعترفت بين يديه الاميرة اولغا بانها احبت ضابطا جميلا من الحرس القيصرى اسمه نيقولا لوتكيفتيتش وانها كانت تراه غالبا حول القصر وحينما تكون ذاهبة الى الكنيسة ولم تتاخر عن التبسم له فى كل مره . ثم قالت له فى بعض المرار :

ـــ ماذا استطيع أن أفعل ايها الاب المقدس ؟ انيأحبه ولكن وا أسفاه ! انالحب محظور علي لانىأميرة منالعترة القيصرية وهذا هو سبب عذابى

فاجتهد هيليودور فى أن يطيب خاطرها ذاكراً لها انها لا تزال شابة صغيرة وان قلبها لا بد أن يتقلب بين عواطف الحب المختلفة قبل أن تصل الى الرجل الذى سيكون زوجاً لها

واذ كان هيليودور تابعاً للكنيسة الباروفنلافنية تحت رئاسة المطران تيوفان فقد التقى بعد مدة براسبوتين وذكر له غرام الاميرة اولغا العذرى ليجتهد فى تسليتها فقال له راسبوتين :

ـــ لقد استأصلت هذه العلة من نفسها بالأدعية والصلوات فقتلت بهذه الطريقة غرامها .

ثم ان راسبوتين أفضى ببعض أسرار الى هيليودور أزالت من عقل الاخير كل شك عما يقال عن علائق راسبوتين بالاسرة المالكة وعن الشكاوي التي أبدتها المداموازيل توتشيف : وفى الواقع ان راسبوتين أصبح له من التأثير فى نفوس سائر أفراد اسرة القيصر ما ليس لاحد سواه وليس أدل على ذلك الكتاب الذى أوردناه عن القيصرة من الكتاب التالى الذى أرسلته الاميرة أولغا الى الراهب الدجل وهو متغيب فى قريته السيبيريه وهذا نصه :

« قصر بيترهوف فى ٢٣ مارس ١٩١٦

أيها الاب المقدس والصديق العزيز الوفى اننا جميعاً مستوحشون بفرقتك فمتى تعود من بوكروفسكى ؟ لقد

وعدت بأن تكون هنا في اليوم الثالث من هذا الشهر ومع ذلك فلم تصلنا منك ولا كلمة واحدة . فكيف حال ماترديسكا (هي زوجة راسبوتين الفلاحة) وحال الاولاد ؟ بلغهم تحياتنا وقد أرسلنا اليهم تاتيانا وانا بعض الشيء في بريد هذا اليوم . وكلما ذهبنا الى أنا لنستفهم منها لم نجد سوى ما يدعو الى اليأس . لقد حرمنا من اجتماعاتنا العذبة الخيرية وأصبحنا فى أشد الحاجة الى عودتك . انت أيها الاب المقدس صديقى الذى لا يمكن تقدير منزلته، وانى لا أفتكر مطلقاً فى نقولا بل فيك أنت فقط وفي ديننا المقدس إذ والدتي في أشد التألم لغيابك . أقبل يديك العزيزتين

بنتك التي تحبك « اولغا »

ومن هذا الكتاب يظهر جلياً مقدار النفوذ الذي اصبح لامبراطور المانيا على اسرة القيصر بواسطة راسبوتين بل وعلى جميع حاشيته وشعبه كله

ولكي يحفظ امبراطور المانيا كرامة راسبوتين ويمنع الظنون عنه وعن سائر معاونيه فى البلاد الروسية اصدر أمره بابتداع طرق متنوعة تصرف لهم بموجبها الاموال المخصصة

لهم بدون أن تستوجب الشك من أحد . وهذه أمثلة من الطرق التي لا تفتح باباً للشك في اخلاص راسبوتين وأشياعه.

« ٦ ابريل ١٩١٦ — مدفوع الى صاحب السعادة بوريس ستورمر من طرف جيل فيك مورسكويا ٥٧ محامي مستحق الدفع نقداً من أملاك المرحومة البارونه نيكليودو الدوبنوية مبلغ ثمانية وسبعين ألفاً وستمائة روبل

١٨ ابريل — مدفوع الى جرجوار راسبوتين من قبل نيقولا بوكوليتو عنوانه بفندق سيليكت رقم ٤٤ شارع ليجوفسكايا ببتروغراد وكيل الخواجات سولوفيوف بأوديسا مبلغ اثنين وستين ألفاً واربعمائة وستين روبلا

١ يونيه — مدفوع الى صاحب السعادة د.ا. برتوبوبوف قيمة ايجار أراضي في فيازينا من طرف اسكندر كولتشاك وكيل دائرة البرنس تشيرماريف مع خصم ١٥ في المائة عمولة للخواجات مونتيرو وشركاه المقيمين بكييف مبلغ واحد وعشرين ألفاً ومائتين وتسعة وعشرين روبلا

٣ يونيه — مدفوع الى فيرازويف (هذه المرأة المقال عنها انها روسية ليست سوى راقصة المانية اسمها بيرتاررييهل

تتجسس لامبراطور المانيـا) الرقاصة فى لونابارك من قبل ج . ميرتيوس المقيم بالمحل رقم ٨١ شارع نيفسكى ببتروغراد مبلغ ثلاثة عشر الف روبل

١٧ يونيه ـ مدفوع الى صوفياتاتيستشيف (التي تزوجت البارون روخلوف احد سكرتيري القيصر المختص بمكاتباته الخصوصية) من بنك سافونوف فى مقابل تسوية حساب تأمين على أملاك أتلفها الحريق فى بولتافا »

ومن هذه الارقام يعلم مقدار ما كانت تنفقه مصلحة التجسس الالمانية من الاموال الهائلة فى سبيل تنفيذ أغراضها فى الروسيا بواسطة راسبوتين وأعوانه

ومن المستغرب انه مع حدوث كل هذه المساعى العظيمة فى قلب الروسيا يتمكن بروسيلوف بهجومه المدهش فى منطقة مستنقعات بريبت ويستمر في زحفه الى تخوم رومانيا فيدفع جيوشه الاربعة في الايام الاولى من شهر يونيه ١٩١٦ ويأسر حتي منتصف أغسطس ٧٧٥٧ ضابطاً ٣٥٠٨٤٥ جندياً و ٤٠٥ مدافع

ولقد كان لهذا الحادث وقع عظيم وحزن شديد فى

برلين . فكل مؤامرات راسبوتين وستورمر والكونت فردريك وبروتوبوبوف والكونتة إيغناتييف ومدام فيروبوفا واثني عشر موظفاً غير مشهورين ولكنهم ذوو شأن ونفوذ عظيمين والمبالغ الطائلة من الماركات الالمانية التي فاضت كالطوفان على بيتروغراد عجزت عن حجز اللجة الروسية التي غمرت الجبهتين الالمانية والنمسوية

وقد اغتم الامبراطور لهذا البلاء المدلهم وأرسل رسالة تلغرافية رمزية الى راسبوتين هذا حلها بالمفتاح السري الذي وجد في خزانة راسبوتين الحديدية

« ف . ج . ٢٢ — ٢٧٣٤

مذكرة نمرة ٧٠ — ٢٩ اغسطس سنة ١٩١٦ .

نرى ان من الضروري جداً وقف الزحف في منطقة البريبت في الحال وان يتحول الى مصلحة الدول الوسطى كما وعدتم بذلك في تلغرافكم المرسل في اول يوليه . لقد اخلفتم وعدكم ! فما الذي حدث ؟ ان س متهم بتحريض الروسيين على الانتصار في خطبه التي يلقيها . ومن الواجب ن يمتنع عن ارسال تلغرافاته المبشرة بالظفر الى أسكويت . فانها

لاتؤدى الا الى تشجيع الحلفاء . وينبغي الكف عن هذا التقدم وفضلاعن ذلك فان مصانع ذخائر فولوجداوبولوجويا لم يتم تدميرها الى الآن كما اصدرنا امرنا . ولقد علمنا ان ك (هو ساعاتى اسمه كارتزوف نسف مصانع بيروتشنيك في فيبورج وقتل فيها ٤٠٠ شخص) الذى قام بعمل جليل في هذا الصدد قبض عليه واعدم رمياً بالرصاص كما حدث للمرأة ر . (وهي الآنسة ريفيسكي الذي كان ابوها موظفا فى وزارة الداخلية تحت رئاسة بروتوبوبوف) وقد تحققنا بانكم اعلمتم البوليس بامر هذين الشخصين لانهما تحابا وربما يفضي بعضهما الى بعض باسرارهما فيعود ذلك علينا بالضرر .

تعليمات سرية : يجب ان يعهد الى نيقولا ميديرامر تدميرمصانع فولوجدا وبولوجويا وان تنضم اليه مدام فليشر المقيمة فى فولكوفو كمساعدة له . ويجب اعطاء كل واحد منهما عشرة آلاف روبل جزاء لخدماته .

بماان مجهوداتكم الموجهة لاحباط الهجوم الحادث فى جبهة البريت اخفقت الى الآن فنحن نأمر باخفاء اثر القائد بروسيلوف بالوسائل المتبعة فى بلاد الاعداء الاخرى. فابعثوا

برسول مؤتمن الى الدكتور كلوبيف المقيم فى الفوكريزينسكايا
فى مدينة قازان ليطلب منه انبوبة . وسيعلم الدكتور المذكور
الغرض المطلوب .وبسكب مافى هذه الانبوبة فى اى شراب
تحدث نوبة تيتانوسيه تنتج الوفاة بسرعة . وكولوبيف هذا
المانى فيمكنكم ان تثقوا به تمام الوثوق . اما بروسيلوف فله
مراسلة اسمه ايفان ساويتش وهو صديق بوريس كولتشاك
العسكرى فى الالاي ١١٧ من المشاة فى مينسك . وقد خدم
كولتشاك خمس سنوات لدينا . فينبغى التوصل اليه وتمكينه
من الذهاب لرؤية صديقه ساويتش في المعسكر العام الاكبر
ولادخال محتوى الانبوبة فى طعام او شراب بروسيلوف .
ومكافأة للقيام بهذه الخدمة قد اجزنا كم بان تصرفوا الخمسة
وعشرين الف روبل بطريقة سرية عند تمام العمل . ولتعلموا
ان ساويتش مغرم باخت كولتشاك وهـذا مايمهد بعض
العقبات . وكونوا على حذر من ماريه او ستريالوف التي تغير
من المرأة المتقدم ذكرها .

ومن الممكن التخلص من القائد كورنيلوف باتفجار
احدى القنابل اليدوية فجأة كما فعلنا بالقائد زهوكوفسكي فى

شهر مارس الاخير فى جهة بولتوسك

ومن الجائز استخدام العسكرى بول كريزيتسكي من آلاى السابع عشر الرماه بالقنابل اليدوية المسكوفى الموجود الآن بالمعسكر العام . وما عليه الا ان يفحص القنبلة — ومن الافضل ان تكون القنبلة بحجم الاناناسه — ويفتح الغطاء فجأه . ويمكنكم ان تدفعوا الاجل القيام بهذه المهمة ثمانية عشر الف فرنك بل بطريقه سريه

وعليكم ان تجتهدوا بدون توان في اقناع القيصر باطلاق سراع الرجلين بولينوف وليفيتسكى والحرمة ايريخ الذين قبض عليهم فى فندق بروزى في فيتبسك . ويجب ان ترد اليهم أوراقهم — اذا وجدت — ومن المحتمل ان تكون مستنداتهم فى مأمن فى الغرف الحصينة الموجودة ببنك اوستنشوتى في بلدة الهوفسكى او عندلامبيه وكذلك اجتهدوا فى الحصول عليها لانها تحتوى على امور تثبت الجريمة على مس (ستورمر) وف (مدام فيروبوفا) ومن الضروى جدا ابطال التحقيق الجاري الآن مع هؤلاء الاشخاص وان تحل نقمة الغضب على الذين سببوا القبض عليهم لان هذا العمل

مصر بنا من الوجهة السياسيه. وفي نظير القيام بهذه الخدمة نتعهد بان ندفع اليكم مبلغا اضافيا من المال ذا قدر جسيم. س ٧٠ »

وليس هذا الكتاب الا من ستايبهور رئيس مخبري الامبراطور السريين والمفتش العام لكافة فروع الاجرآت السرية الالمانيه المنتشره فى سائر ارجاء العالم المتمدين

ولم يتأخر راسبوتين عن انجاز كل الاعمال التي صدرت اوامر رئيسه اليه بتنفيذها

وفي اليوم التالي لاستلامه هذه الرساله التلغرافيه السرية التى وصلت اليه بواسطة أمرأة متخفية في زي الفلاحات دخل على القيصر فى مكتبه الخاص وقال له :

— ان الشعب يعتبرك ايها الصديق على الدوام كرئيس تقي عادل ولكن القائمين بادارة شؤون الشعب في فيبسك داسوا القوانين واضطهدوا رجلين بائسين وامرأة مسكينة لمجرد الانتقام . فليحم الله روسيتنا العزيزة وايؤيد بطلنا بروسيلوف بروح الانتصار . ولكن اذا حدث ظلم باسمك فان القدرة القدسية ستحرمنا بالتأكيد من حمايتها .

— وما هى هذه الحادثة ايها الاب المقدس ؟

ـــ لقد قبض محافظ فيتبسك فاوتيير على المسميين بولينوف وليفتسكي والمرأة اريخ ظلما وعدواناً مع انهم وطنيون صادقون يشتغلون في الصليب الاحمر ونسب اليهم تهما مختلفة .

ـــ ولماذا فعل المحافظ ذلك

ـــ اتهمهم بممالأة العدو ـــ وهي تهمة وهمية يمكن الصاقهاباشد الوطنيين اخلاصا وغيره ـــ وقد استلمت من رئيس دير فيتبسك تقريراً خصوصيا مستعجلا يقول فيه ان المحافظ فاوتيير وهو موظف فاسق اختلق هذه التهم الكاذبة ليستر سلوكه المخجل الشائن الذي هددته المرأة اريخ بافشائه . اسمع ايها الصديق . ان المعلومات السرية التى وصلتني من الاب المقدس رئيس دير فيتبسك تقتضي فصل هذا المحافظ من منصبه وصب كاس الغضب على رأسه ويجب فى الحال اطلاق سراح هؤلاء الابرياء . والا فاذا كنت تشجع الظلم والظلمة فى مملكتك فانك تعرض انتصار جيوشك للخطر الداهم .

ـــ سيصير طرد هذا المحافظ ايها الاب المقدس فناولني

احدى ورقات التلغراف

وكتب القيصر ما املاه عليه راسبوتين آمراً بعزل المحافظ واطلاق سراح المعتقلين الثلاثة .

وفى اليوم التالى وصل بوتكوف كالصاعقة الى بيتروغراد بعد ان سمم افكار اسرى الاوكرين بفكرة الانفصال من الروسيا الكبيرة واجتمع براسبوتين وستورمر وبروتوبوبوف اجتماعاً سريا دام من الساعة الثالثة بعد الظهر الى الساعة الثامنة مساء .

وفى هذه الساعة اقبلت مركبة قيصرية لاخذ راسبوتين الى القصر كالعادة فلما دخل على القيصرة قال لها :

— ان ارادة الله قاضية بان لا يهزم ولا يسحق اصدقاؤنا الالمانيون ! الم يقل لنا الله بان العدو اذا ضربنا على احد الصدغين وجب علينا ان ندير له الصدغ الآخر ؟ فانا اصرح لك باننا اذا لبثنا نضغط على العدو فانك تجلبين عليك وعلى بيتك وولدك وريث الملك غضب الله

ثم رسم علامة الصليب . فاثر كلامه فى نفس القيصرة واصبحت ترى من اهم الوجبات السعي لانتصار المانيا وعقد

صلح منفرد معها .

وبما ان القيصر كان الشخص الوحيد القابض على ازمة الروسيا برمتها اثناء الحرب فقد كانت كل صور التلغرافات السرية والمخابرات والتوصيات والخطط الحربيـة تصل الى برلين فى الحال بل ربما قبل وصولها الي الاماكن المختصة بها

وبعد خمسة عشر يوما من هذا التاريخ تم تنفيذ مشروع راسبوتين القاضى باعدام بروسيلوف وكورنيلوف . فوضع الجندى كولتشاك السائل فى فنجال قهوة هذا القائد الا ان اجله الطويل جعل احد كبار الضباط المسمي دوبروفولسكي يشرب مافى هذا الفنجال ولم يمض عليه اكثر من اربعة ايام حتى مات بمرض عضال ولم تحدث ادنى شبهة فى موته .

واما كورنيلوف فقد سقطت قنبلة يدوية من يد احد العساكر اثناء مروره بجواده امامه فقتلت الجواد ونجا ذلك القائد باعجوبة الا انه اصيب بجرح عظيم فوق احدى عينيه واعتبر الحادث قضاء وقدرا .

وادى فشل هذين العملين الى سخط الامبراطور على راسبوتين وارساله اليـه رسالة تلغرافيـة سرية عن طريق

السويد يمنفه فيها ويذكره بالوعود التي اعطاها على نفسه حينما قابل الامبراطور مقابلة خصوصية ورضي في اثنائها بان يكون عامله السري الخاص فى القيصرية الروسية ، وفى هذه الرسالة تعليمات مهمة اخرى مقتضى تنفيذها على عجل لان انتصارات الروسيا ازعجت برلين جدا .

وفي الحقيقة أن اخفاق راسبوتين فى القضاء على هذين القائدين الوطنيين الصادقين وتوالي زحف الجيوش الروسية الى الامام متابعة انتصاراتها قد ألقى الرعب في قلب راسبوتين نفسه فخشي أن ينصرف الناس من حوله ولا سيما النساء اللواتى يغلب عليهن اليأس سريعاً فأخذ يقول للاخوات المريدات في الاجتماعات الاسبوعية !

ـــ اذا كرهتنى وانصرفتن عني فان الله يتخلى عنكن لاني مختار الله الذي أرسلني لأحرر الروسيا المقدسة

وأما الذين او اللواتى يعرف عنهم انهم لا يعتقدون في قداسته وولايته فكان يخاطبهم بالصراحة قائلا لهم :

ـــ اذا كنتم لا تطيعوننى فانى آمر أصحابى بمعاقبتكم :

وبهذه الطريقة أمن شر انفضاض النسوة على الاخص

من حوله بل لقد أزددن سخاء له بالاموال في نظير توظيف عشاقهن أو أقربائهن أو استصدار الرتب والاوسمة والالقاب اليهم . وصارت أعاظم رؤساء المملكه يحنون رؤسهم أمامه ويقبلون يده لا اعتقاداً بولايته وتقاه بل خوفاً من نقمته وأذاه واستجلاباً لتعطفه ورضاه

ونشط راسبوتين وصديقتاه الحميمتان أو تلميذاتاه المخلصتان القيصرة وانا فيروبوفا فى الدعوة الى الميول الجرمانية فانتشرت هذه الميول لا بين العامة فقط بل فى الوزارات وبين الجيوش على الجبهة أيضاً . وصار كل فوز روسى يغم القيصرة ويهيج أعصابها فى حين أن كل تقدم يحرزه العدو يسكرها بنشوة الطرب والابتهاج وبعد ان كانت الميول الجرمانية تتسرب فى الخفاء أصبح الدعاة اليها يتبجحون بها علناً ولا سيما القيصرة التي بلغها فى أحد الايام وهي فى مجتمع الاخوات المريدات الاسبوعي ان الالمانيين يقاتلون وهم منهزمون وان قاعدتهم المحصنة فى فالديمير فولجونسك القريبة من لوتسك سقطت بين أيدى الروسيين فلم تمالك نفسها من شدة الانفعال وصاحت :

— ولماذا فعلوا هـذه الفعلة وكيف لم يقفوا موالاة الزحف على الالمانيين ؟ ان الروسيا لن تتغلب أبداً على المانيا ، كلا ابداً ! فلتصل ولتبتهل الى الله لاجل عز يزينا المانيا !

فأجاب راسبوتين ويداه متعانقتان على صدره وبصره شاخص السماء :

— ايتها الاخت لا تجعلي فى قلبك منبتاً للتشاؤم ولا للخوف لان الله ألهمني بأن سيتم صلح منفرد وستظفر الجيوش الالمانية باكاليل النصر النهائى . وقد تجلت لي رؤيا إلهامية فى الاسبوع الماضى فى دير فيرخوتوربا اثناء حجى مع الاب ماكير

فاهتمت القيصر والبرنسيس أولغا عشرات من سيدات الحاشية بهذه الرؤيا واصغين الى راسبوتين وقالت القيصرة :

— رؤيا إلهامية ! عجل ايها الاب المقدس وأخبرنا بما رأيته فى هذا التجلي

— لقد رأيت جيوشاً داخلة مفتتحة عاصمة عظيمة — وهي جيوش قادمة من الغرب حاملة الينا كل ميزات وفضائل أسمى مدنية فى الوجود . وأبصرت صاحب الجلالة امبراطور

المانيا يتقدم ويتناول يد زوجك القيصر مصافحا ثم يعانقه معانقة الاخاء ويقبل وجنتيه بمحبة وحنان. وكانت تتراسل على هذا المنظر المؤثر في النفوس أشعة مجد القدير الازلي، واذا بالروسيا تهتز طرباً بنفضها عن عاتقها نير تحكم حنفائها

— لله الحمد والمنة! لم نعد نخشي شيئاً بعد الآن. حقيقة ان الحكمة الالهية رحيمة لانها أرسلتك الينا ايها الاب المقدس

ثم تناولت يده وأنهلت عليها بالقبلات المتلئة بالشغف بينما كانت جميع الحاشية تردد ألفاظ الصلاة التي لقنها إياها راسبوتين وهي:

« لنشكر الله أيها الاب المقدس على ان جعلنا إخواتك المختارات! »

وفى اليوم التالي عقد اجتماع سرى فى بيت شخص اسمه روخلوف كائن فى شارع فيريسكايا ببتروغراد وأقر المجتمعون على وجوب التشهير براسبوتين باعتباره دجالا محتالا. ويجب الاستدراك هنا بأنه لم يكن يوجد بين أهالي بيتروغراد من كان يعتقد ان راسبوتين جاسوساً للالمانيين ومروجا لدعوتهم بل لم يكن يشك أحد ما فى إخلاص

ستورمر وبروتوبوبوف. وابتدأ بالفعل روخلوف الذى هو ابن احد موظفي وزارة الخارجية يشنع على هذا الراهب فى كل مجلس وناد فتناقلت الالسنة التشهير به . وكان اعداؤه قد انتهزوا أحسن فرصة لعملهم . وذلك ان القيصر والقيصرة والكونت فردريك ومدام فيروبوفا قد فارقوا العاصمة ذاهبين في القطار القيصرى الى القريم . واذا كان اصدقاء راسبوتين واتباعه كثيرين فان اعداءه لم يكونوا قلائل. وفى هذا الوقت رأى صديقه الحميم الاسقف نيوفان الذى كان يقول ان المولى جلت قدرته يتكلم بلسان الاب المقدس راسبوتين وان ابعاده عن بيتروغراد يكون بالتاكيد سببا فى سخط الله ودمار المملكة كما رأى المطران هيرموجين احد الذين انشأهم وكبرهم راسبوتين ان يجتذبا اليهما عطف الجمهور بالطعن فى نصيرهما واظهار غشه وتدجيله فكان لعملهما تاثير فى المجتمع البيتروغرادي وفى موسكو . وعلى اثر ذلك طعن المسيو جوتشكى فى الدوما على راسبوتين جهارا .

على ان التهم الموجهة اليه جعلت مريداته يتوافدن زرافات الى بيته وهن حنقات مهتاجات لانهن لم يردن ان

يسمعن عنه اية كامة تشيب سمعته . فاعلن فى الحال رغبته فى الانسحاب الى سيبيريا قائلا :

ــ ان اهالى بيتروغراد قد طردوا الرجل الذي ارسله الله اليهم فها انا ذا عائد الى ديري فى بوكروفسكي وهناك سابتهل الى الله واصلى له ليحفهم بالسلام . ولا شك ان الله سيعاقب الجاحدين . واما انتن يا اخواتى فحافظن على التمسك بعقيدتكن . واذا لم اعد فصلين لاجلى !

فتساقطت النسوة على يديه يوسعنها تقبيلا بحرارة منبعثة من القلوب . وبعد ساعة اتجه الى المحطة وجمهور عظيم من المؤمنين والمؤمنات به يتبعونه . ولكنه بدلا من مواصلته السفر الى سيبريا غير الطريق فى موسكو. واقتفى عن قرب آثار القيصرين وحاشيتهما .

وما زال مواصلا اسفاره حتي وصل الى يالتا وقصد فى الحال القصر القيصرى . وكان وصوله الى هذا القصر فى الساعة السادسة صباحاً بعد سير متعب شاق بين اشجار السرو فى الغابات المنتشرة فى تلك الجهة . وفى الحال دخل على القيصر وهو فى حمامه .

وكان القيصر عاري الجسد وواقفا فى حوضه ذي اللون الوردي فدهش عند ما رأى راسبوتين واقفاً امامه على هذه الصفة وسأله عن سبب زيارته التي لم تكن منتظرة فأجاب :

— لقد طردوني من بيتروغراد انا المختار من الله ! فانا عائد الى سيبريا لاعيش هنالك في هدوء وسلام ولكن الله سيصب جام انتقامه على الروسيا وعلى كل ماهو عزيز فيها ولتكن على ثقة من ذلك ومن ان ابنك لن ينجو من هذا المصاب .

— ولكن الا تخبرني ايها الاب المقدس بما حدث ؟

وجلس القيصر فى حوضه الاحمر واخذ الراهب يخبره بأن الكنيسة والدوما اعتبرتاه كدجال ثم قال :

— اني لا اهتم باولئك الذين يشوهون سمعتي فانهم ليسوا سوى هباء منثور ، ولكن الذي يهمني هو ان الله قد ارسلني الي الروسيا وهاهم اولاء الروسيون لا يظهرون لي الا الاحتقار.

— ولكن من هم اولئك الاعداء ؟

— ان الاسقف تيوفان والمطران هيرموجين قد تآمرا علي ومعهما آخرون مع سبق احساني الى هذين الرجلين.

فتناول القيصر ورقة تلغراف وقال له :

ــ الى أين تريد أن ارسل هؤلاء الاشخاص ؟

ــ لا أبتغي ارسالهم الى أية جهة بل دعهم يعملون على خراب مملكتك والله وحده يتكفل بعقابهم ! واني عازم على السفر هذا المساء الى سيبريا على أمل أن لا أعود منها ابداً

ــ كلا بل سامحهم ايها الاب المقدس ، سامحهم اكراماً لخاطري وحباً في الروسيا . واني سأرسل تيوفان صديقك الغادر الي توريد وسينسحب هيرموجين الى دير توبولسك وكذلك هليودور ليس بالصديق المخلص فسألقيه في عيابة السجن

ــ لكن ما أردته في الشخصين الاولين اما الثالث وهو هيليودر فاستبقه فقد تكون فيه فائدة لك

ــ ومن هم الخصوم الآخرون الذين تريد أن تتخلص منهم ؟ .... تكلم واذكر ما شئت من الاسماء فاني مستعد لان أنتصف لك منهم على شرط أن تبقى معنا . فانك اذا فارقتنا يموت الكرزيس المسكين

وكان هذا هو عين ما يرغبه راسبوتين وقد أدرك في هذه اللحظة ان الروسيا حقيقة طوع امره فجلس على كرسي

امام القيصر وأخذ يفكر ثم قال :

ـــ نعم لقد أوحى الله الي ان أصفح عن أعدائي . وانى أريد ان اكون رحيما اذا ما ساعدتني على الرحمة . على ان الذي يهمنا ليس معاقبة أعدائنا بل مكافأة أصدقائنا كل بحسب ما يستحق

ـــ انهم بالتأكيد سينالون جزاءهم من الاجر الحسن . فماذا عندك من هذا القبيل ؟

فأخرج رسبوتين من جبته السوداء قائمة كبيرة كان قد أعدها من قبل وأخذ ينظر فيها ثم قال :

ـــ لقد أشرت في هذه القائمة الى بعض وظائف يجب اسنادها الى أصدقائنا الذين يجاهدون معنا ضد الاعداء

وكان كل الذين قيد اسماءهم في هذه القائمة أشخاص من الموصى عليهم من قبل مريداته اللواتي نقدنه اموالا هائلة من قبل نظير الحصول لعشاقهن او لذوى قرباهن على مطالبهم فأخذ يسرد عليه ما في هذه القائمة من الاسماء على النسق الآتى :

ـــ اذكر لك ايفان شيفيليف من قلم الاستشارة

القيصرية . فانه قد خدمك أجل وأصدق خدمة مدة خمس سنوات متتابعة فهو يستحق لقب صاحب السعادة مع ترقية درجته . ومن بعده يوجد سيرج تيماشيف الموظف بالمطابع القيصرية الذى يجب أن يكون مستشاراً خاصاً ، ومدام جريجو يوفيتش المحجوزة في سجن بطرس وبولس التي يجب اطلاق سراحها خالا واعطاؤه تعويضاً كافياً عن التهم الكاذبة التي نسبت اليها وسببت لها كل هذه الاضرار ومعاقبة متهمها ميشيل الكسندر وفتش

— سأرسل تلغرافات مفصلة عن كل مسالة من هذه المسائل

— ان مرتب الوزير بروتوبوبوف غير كاف ورجالك الامناء ينبغي ان يكونوا متمتعين بالائك ولذا يجب ان يزداد الى الضعف على الاقل . وانت تعلم انه صديقك الوفي وخادم الروسيا الامين المتلهب غيرة على مصالحها

— ان ما ذكرته عنه حق وسيتم ما طلبته له

— يجب وضع رقابة دقيقة على برسيلوف فقد وجدت أدلة توجه اليه تهمة الخيانة . فقد كانت له قبل الحرب صلات

ودية بشخص اسمه فوز ويبر وهو احد عمال المانيا . وكذلك نيكرازوف وزير المواصلات فهو خائن ويجب فصله من منصبه

— سننفذ هذين الامرين المهمين . واني اشكرك أيها الاب المقدس لتحذيرى منهما .

وهكذا ادرك راسبوتين سلسلة اغراض انتقاميه وجالبة للأرباح في آن واحد .

ولم يمض اسبوع واحد على هذه المقابلة الخاصة حتى كان قد تقدم الى القيصر تقريران من بعض رجال البوليس ذوى النزع الجرمانية ضد بروسيلوف الذي القى القبض عليه ونيكرازوف عدو بروتوبوبوف الذى لم يلبث ان فصل من مركزه . فنجت المانيا من خصمين الدين

وما كاد ايفان شيفيليف يعلم بخبر اللقب الذى اسند اليه حتى استخفه الطرب فكتب الي راسبوتين الخطاب التالى:

« ايها الاب العزيز . لقد علمت انك سافرت الى سيبريا لزيارة ديرك الموجود هنالك فليباركك الله وليحطك برعايته! لقد اعلن اليوم رسمياً نبأ منحى لقب صاحب السعادة . وبناءا

على ذلك حول عملائى الماليون لحسابك مبلغ ثلاثين الف روبل . وسيضاف الى المبلغ المذكور عشرة آلاف روبل ايضاً اذا تكرمت بارسال خطابي الكونتة بيريليف اليّ فى غلاف مختوم . وانى منتظر ردك . ايفان شيفيليف »

وبلغت الجسارة براسبوتين الى ان لايبالي بالمسؤليات المترتبه على ما يكتسب فاخذ يناوىء الذين يحاولون خداعه العداء جهاراً . فمن ذلك ان سيرج تيماشيف لم يف بوعده ويرسل الى راسبوتين الجعل المتفق اليه فكتب هذا اليه الخطاب الآتى :

« لقد مضت ايها الصديق عدة ايام بعد ان عينك صاحب الجلالة مستشارا خاصاً للامبراطورية دون ان يصلني منك او من بنكك اي شيء مما حدث الاتفاق عليه فاذا لم يصلني شيء من هذا اليوم الى يوم الخميس فان المعلومات التي تدين ولدك فى مسألة بالانوف ستصل الى السلطة . (هذه المسألة تختص بتدمير باخرة حربية روسية في البلطيق بواسطة عمال المانيا) واذا وصلنى قبل انقضاء هذا الموعد ضعف المبلغ المتفق عليه التزمت جانب السكوت والا اتخذت

الوسائل الفعالة فى الحال . ج »

وبالطبع لم يجىء الموعد المحدد حتى كان مطلب راسبوتين مدفوعا .

وبعد ان قضي راسبوتين اغراضه من القيصر رأى ان لايطاوعه فى البقاء مع الاسرة القيصرية او العودة الي بيتروغراد على الاثر لان مثل هذا العمل يقلل من هيبته لدى الاخوات المريدات اللواتي يعتبرنه كاذبا مخادعاً . ومن جهة اخرى فان هذا التساهل يجعل القيصر يظن انه لم يجيء الا لقضاء مطالبه . فقال للقيصر انه عازم على السفر الي سيبريا على كل حال لقضاء مصالح خصوصية ضرورية وسيعود منها متى عادت الاسرة المالكة الي العاصمة . ورأى القيصر انه مصمم ولا يتحول عن عزمه فلم يجرأ على معارضته بل قبل يديه وطلب منه عدم اطالة الغياب مراعاة لحالة الكزيس .

ولما خرج من عند القيصر ذهب الى القيصرة وقص سيرته عليها فحزنت وبكت ولم تدر ماذا عساها ان تصنع إزاء غضب الشعب على الاب المقدس . فهدأ روعها قائلا لها :

— خففي عنك ايتها الاخت فانى سالتزم العزلة فى

سيبريا ريثما يسقط هؤلاء الاعدء الالداء لروسيا ويتخبطون في ظلمات الاهوال . وهنالك اعود اليك وآخذ مكاني بجانبك واجاهد معك كما امرني الله .

وبعد ان استاذن القيصرة سافر الى سيبريا لزياة ر ديره حيث تنتظره هنالك على احر من الجمر نساؤها الاثنتي عشرة اللواتي انقطعن عن الدنيا زهدا فيها وشغفا بهذا الراهب العجيب .

الفصل السادس

اوامر برلين السرية الى راسبوتين

وصل راسبوتين الى ديره واستكن بين مريداته او زوجاته البديعات المولعات به وتوفرت لديه اسباب الملاذ باسرها فطابت له الحياة ولم يعد يفكر في بيتروغراد وابهتها ونفخها والثياب الحريرية الزرقاء المزركشة والمركبات القيصرية وقبلات الايدى التي كانت تنهل عليه من السوقة الى اكبر رأس في الروسيا المقدسة ، الروسيا كعبة المسيحية .

ولكن بيتروغراد لا تطيق صبراً على فراق الاب

المقدس ، الذي عرف كيف يفتن الالباب ويسحر العقول بمعجزاته وبنظراته وبهباته ، وضجت الاخوات المريدات واخذن يتحسرن على ايامه . وكانت الاسرة المالكة وحاشيتها اشد اهل بيتروغراد شوقاً اليه . فتوالت رسائل القيصر والقيصرة اليه تباعاً من يوم عودتها الي بيتروغراد وهو لا يجيب بحرف واحد .

وفى الحقيقة ان راسبوتين كان من الدهاء بحيث لاتستخفه هذه المظاهر وتسطير لبه فتجعله يتعجل الأوبة الى بيتروغراد بمجرد وصول التلغرافات اليه بعضها اثر بعض . لانه يعلم ان اعداءه طول وجوده لاينكفون عن الكيد له والسعاية فى حقه . فاذا مااختفى عن انظارهم اهملوه وتناسوه فيتذكره احباؤه . ولهذا لم يكن ينكف عن ادعائه السفر الى الحج وزيارة الاماكن المقدسة من آن الى آخر . فضلا عن كونه كلما عرض له حادث مكدر صغير جسمه وجعله سبباً لسفره وغيابه مدة طويلة .

وكان قبل مبارحته العاصمة يتنبأ بحدوث كورات اثناء ابتعاده ، فلا يلبث اشياعه كستورمر وبروتوبوبوف ومدام

فيروبوفا ان يعملوا على تحقيق نبوءته ، فتحدث فى اثناء غيابه كوارث متعددة فمرض وريث التاج مرضا تحار فيه نطس الاطباء بواسطة تلك المرأة المدهشة امينة القيصرة ووصيفتها الخاصة المتفانية فى عبادة راسبوتين والجنون به مدام فيروبوفا.

وتاريخ هذه المرأة يدل على انها آلة لكل شر ومصاب وذلك انها كانت بنت المسيو تانييف رئيس قسم استشارة القيصر الخاصة فتميزت من خمس سنوات مضت آنسة شرف للقيصرة . وبما انها جميلة وذات سجية بشوشة لطيفة فقد أعجبت بها القيصرة العصبية ثم لم يلبث إعجابها بها أن تحول الى شغف بها . ثم تزوجت بضابط بحري فتى جميل اسمه فيروبوفا كان ضابطا في الطراد قازان . فتغيب هذا الشاب عاما في تجواله فوق ظهور البحار. ثم لما عاد علم بسوء سلوك زوجته فذهب الى بيترهوف بشجاعة وطلب من القيصر أن يسمح له بتطليق هذه المرأة فاسخط هذا الامر القيصر ولم يشأ أن يوافق عليه ولكنه من جهة أخرى رأى أن يحقق ليرى اذا كان هذا الضابط صادقاً فى مقاله . فوجد القيصر على أثر التحقيق امراً غريباً . وجد ان القيصرة تحب

قائداً اسمه او ... وان فيروبوفا مستخدمة وسيطة بينهما . وبما ان الضابط كان يعلم هذا السر فقد توعد بافشائه اذ حال القيصر دون تطليق هذه المرأة فسمح القيصر حينئذ بهذا الانفصال . على ان القائد او ... خان عهد القيصرة وعشق اميرة اسمها ب ... أوجدت لها مسرحا تمثيليا وكانت تعد من أجمل نساء الروسيا . فأخذ هذا القائد يسير وراء هذه الاميرة أينما سارت حتى وصل خلفها الى القاهرة . وبعد اسبوع من وصوله الى عاصمة القطر المصري سافر الى اصوان وأصيب بمرض عضال كان القاضي على حياته . وقد أوضح زوج مدام فيروبوفا للقيصر ان هذا القائد ذهب ضحية غيرة القيصرة . فبحث القيصر سراً وعلم ان دعوى الضابط محققة وان مدام فيروبوفا تبعت القائد الى مصر بأمر القيصرة وسعت في موته ، ولهذا لم يتشبث القيصر في منع الطلاق

ولا غرابة بعد هذا فى أن تكون مدام فيروبوفا هي أشد النساء حظوة لدى القيصرة كما انه لا غرابة في ان تصير آلة التسميم التي يسخرها راسبوتين فى أغراضه المؤذية

لقد ذهبت متاعب القيصر والقيصرة وبقية الاسرة

المالكة سدى فى استقدام راسبوتين لانه لم يعرها جانب العناية حتى ولا بالرد على الرسائل التي كانت ترد عليه تباعاً من سائر أفراد هذه الاسرة . وأخيراً أرسلت اليه مدام فيروبوفا التلغراف التالي وهذا نصه :

« عد حالا الى بيتروغراد . فان صديقا قادما من بعيد ينتظر أيابك . فيجب ان تسافر من غير تأخر . لانه توجد أشياء كثيرة تستوجب العمل . « إنا »

فما كاد راسبوتين يقرأ هذا التلغراف حتى أدرك ان رسولا مهما من قبل امبراطور المانيا قدم الى عاصمة الروسيا حاملا أسراراً عظيمة . فودع نساءه الاثنتي عشرة وسافر على الفور الى بتروغراد

وحالما وصل الى العاصمة الروسية استلم الرسالة الاتية :

« مذكرة ٣٢٧ — ٦٨٧٤

« سيرسل اليكم نمرة ٧٠ الاخت مولفيتا الملحقة بالصليب الاحمر الايطالي ورقمها الخصوصي ١٦٨ . فهي تغادر برلين فى يوم ٣ الجاري مسافرة عن طريق غوتنبرج . فالرجاء ان تعلم ب (بروتوبوبوف) بحمايتها واعطائها

باسبورت وهي ستنزل فى بيت ب (تاجر فى الفير ييسكايا وأحد عمال المانيا ومن أخصاء راسبوتين) حيث يمكنك أن تراها هنالك

« أما مهمتها فهي ان تتصل بالمحامى اسكندر كيرينسكى الذي وان كان غير معروف ومشهور الان الا أنه سيكون له شأن مهم ضدنا . فالمرأة ١٦٨ مكلفة بأن تغويه ثم تحدث فضيحة كبرى لتسقطه من أعين الجمهور . ومن جهة أخرى فان اعتقادنا عظيم فى قدرة كيرنسكي والنفوذ الذي يستطيع به أن يؤثر فى مسألة استمرار الحرب . فنحن ندع لكم الحكم فيما اذا كان حذفه واجباً أم لا . فاذا حكمتم باستئصاله فان نمرة ١٦٨ لديها الوسائل اللازمة لهذا العمل وهى مستعدة للعمل حسب أوامركم فى هذا الصدد

تعليمات سرية : تعلمون جلالتها بطريقة سرية ان ترسخنكو رجل خطر (هو الذى صار وزير خارجية فى وزارة كيرنسكي) وان من الواجب القبض عليه . واذا حدث تفتيش بمنزله الكائن فى كييف فلا بد من العثور بأوراق تضعه فى موضع الاتهام وقد وضعها هنالك ش (جاسوس

المانى اسمه شوماخير) ان تيريشنكو على وشك ان يعلن أمر س (ستورمر) ومن الممكن التخلص منـه بالقائه فى السجن حالا

ضعوا بين يدي القيصرة فى الخفاء الخطاب المرسل طي هـذا . واخبروها في الوقت نفسه بأنـ رغباتها التي أوضحتها فى خطابها الاخير لجلالة الامبراطور قد أجيبت

فهموا س . و ب . (ستورس وبر وتوبوبوف) أنه نقص المؤن لم يكن كافيا بدرجة محسوسة بسبب سياسـة بيريليف المضـطربة . فيجب ابعاده عن العمل بحجـة عدم كفاءته وتعيين غـيره في سكرتارية مصلحة التموين الذى ينبغى أن يعمل على بث المجاعة بمنع المآ كل من الوصول . أن انتشـار الوباء فى موسكو وقازان وكاركوف وأودسا على التعاقب وفى الوقت الذى تحدث فيـه المجاعة يكون له تأثير فعال فى انتصارنا . وقد حدث الاتفاق على نشر جراثيم الـكوليرا ففكروا أنتم أيضاً فى هذه المسألة فاذا وافقتم عليها فانا نتخذ الوسائل اللازمة.مع العلم بأنه لا لزوم للقيام بشيء

من ذلك كله في بيتروغرد بالنظر لوجودكم ووجود الاسرة القيصرية بها

ان حامل هـذه الرسالة سيقيم اربعة أيام فى بيتروغراد وسيحضر معه كل المخابرات التي تريدون ان تفضوا بها الينا بشأن ماستكون عليه الحالة في المستقبل . اننا الآن فى موقف موجب لليأس . فقد قرر هندنبورج سحب جنود من الساحة الشرقيـة لنقلها الى الساحة الغربية كيفما كانت نتيجة هـذه المجازفة . ونحن ننتظر منكم ومن أصـدقائكم احداث مجاعة تكافأون عليهـا مكافأة إضافية عظيمة كما حدث مثل ذلك على أثر تقهقر فارسوفيا »

وعلى أثر استلام راسبوتين هذه الرسالة التقى بصديقه وصنيعته ستورمر رئيس الوزارة الذى سأله عن سبب عدم إجابته على الرسائل التلغرافية المرسلة اليـه على التتابع ولا سيما رسائل الاسرة المالكة فكان جواب راسبوتين :

ـــ انك ياصديقى العزيز تكلمني عن القيصر والقيصرة. فاذا كان نيقولا هو القيصر فاني انا يسوع المسيح ، انا مخلص الروسيا بل مخلص العالم كله ! وان جلالتيهما حينما

يسلمان علي وينحنيان أمامي ويلثمان يدي . فهل انتظر ان أبلغ مرتبه أعلى من هذه ؟ وأولاده يسجدون أمامي ويقبلون يدي . آه يا صاحب السعادة انى استطيع أن اخبرك بأمور لعمري لا اكاد اذكرها من غير ان يحمر وجهي من الخجل

وعلى أثر ذلك اخذ راسبوتين يبحث فيما يجب اتخاذه من الوسائل الفعالة لتنفيذ اوامر برلين فظل مدة اسبوع يجتمع في جلسات خصوصية سرية مع ستورمر وبروتوبوبوف والمطران ستريا بخيف الذى عينه راسبوتين حديثا فى الكنيسة مع كونه من لصوص سيبريا سابقا وأقران راسبوتين القدماء وقد صار الآن ظله الذي لا ينفصل عنه وكذلك كان يجتمع معهم مانوفيلوف الصحافى القديم ومدير البوليس السرى على عهد ستورمر وكانت مونفيتا الممرضة فى الصليب الاحمر تحضر هذه الاجتماعات التي تنعقد في بيت راسبوتين

وبما ان هذه العصابة تيقنت ان كيرنسكي عالم بأنها تعمل لايقاع الروسيا في قبضة المانيا فقد قررت إخفاء أثره لعلمها بأنه على الرغم من ميوله الشهوانية أحرص من ان يجعل نفسه

ألعوبة لامرأة . فكانت العصابة مولفيثا بتنفيذ هذه المهمة .
فتوسطت لدى يهودي في فار سوفيا اسمه ليفنسكي لا يتأخر
عن ارتكاب أفظع الجرائم لقاء اجر من المال

وقد تربص هذا الاسرائيلي بعد ثلاثة أسابيع لكيرنسكي
وهو عائد الى بيته ليلا وقذفه بثلاث رصاصات الا انه لطول
عمره نجا منها

واما الطرق التي اتبعتها هذه العصابة لاحداث المجاعة
في عاصمة الروسيا وفي انحاء كثيرة من هذه المملكة الواسعة
فمعروفة للعالم كله . وقد بلغ من امر هذه المجاعة ان طاف
الجمهور في شوارع بيتروغراد وهو يصيح : « اعطونا خبزاً
او أبطلوا الحرب ! »

الفصل السابع

(التآمر على نشر الاوباء في الروسيا)

لقد رأى راسبوتين ان يقلل من مناوضاته الكتابية
مع برلين وان يدع هذه المهمة الى القيصرة التي كثر التراسل
بينها وبين امبراطور المانيا

على الرغم من المعاهدات والقوانين العامة التى تمنع من استخدام جراثيم الامراض المعدية والاوباء فان المانيا لم تحجم عن استخدام كل طريقة من هذا القبيل تعتقد انها مؤدية الى انتصارها فتمكنت بواسطة كيماوييها من توليد جراثيم معدية عديدة وأعدت منها مقداراً وافراً لنشره فى المملكة الروسية لاجبارها على ابرام صلح منفرد

على ان الجيش الروسي مع كل ما اتخذ ضده من الدسائس ظل ثابتا فى ساحة الوغي ولم تقض عليه القضاء المبرم الخيانة المنتشرة بين كثيرين من جنوده وضباطه بل وبين رجال قيادته العليا

وفى هــذه الاوقات بلغ انتصار الالمانيين فى الساحة الشرقية مبلغا هائلا ومع ذلك فلم تكن المانيا ترى طماً نينتها وسلامتها الا فى عقد صلح منفرد مع الروسيا . ولهذا قررت التعجيل فى نشر الاوباء فى الروسيا ليتمكن استورمر من من إقناع القيصر بضرورة ابرام الصلح المنفرد

وبعد ان أعدت برلين الوسائل اللازمة لتحقيق هذا الغرض ارسلت الرسالة السرية الآتية الى راسبوتين لتنفيذ

تلك الاغراض بواسطته وواسطة رجال عصابته وهذا نص الرسالة السرية :

« مذكرة ٣٦٦ — ٢٦٩٣٧

نمرة ٧٠ رفع تقاريركم وآراءكم الى المقام الاعلى . فتمت الموافقة عليها بأجمعها . وقد أرسلنا اليكم عن طريق مالمو شخصاً اسمه كارى چوفكي المصطلح عليه برقم ٢٢٩ وهو بكتريولوجى من جامعة فرنكفورت وسيصل الى بيتروغراد فى ١٨ الجارى اذ يقابلكم على الفور . وفي نفس الباخرة التي سيصل عليها هذا الشخص تصل الى محل يا كوليف وشركائه وهم من اصدقائنا وتجار فواكه بالجملة فى جهة نويسكايافى موسكو ١٢٦ برميلا من تفاح كندا ومعها ٩٠ صندوقا من موزجزائر كناريا . فكل هذه الطرود ستوزع بالطرق التجارية المعتادة على قازان وخركوف وأودسا وعواصم اخرى فى الولايات الروسية . وينبغى ان ب (بروتوبوبوف) يساعد على تسهيل نقل هذه الفواكه بسرعة الى الاماكن المختصة بها مخافة ان يطرأ عليها الفساد .

نمرة ٢٢٩ حاصل على معلومات خصوصية عن العلاقات

التي ستكون بينه وبين ايڤان يا كوليف الذى هو مركزنا الثابت فى موسكو والذى سيصير اعلامه سرا بمعرفة الشخص الذى يحمل اليكم هذه الرسالة :

والفواكه التى ستصل لا يجب ان تدخر ولا ان تؤكل لانها مطعمة بمواد خطرة جداً

ولا بد ان تنتشر الكولرا فى اقل من ثلاثة اسابيع بعد وصول الفواكه . ونحن نعتمد على پ فى تعجيل تسليم هذه الطرود بكل الطرق الممكنة . ومن الممكن اهداء قسم منها الى الاماكن الخيرية لتوزيعها على الفقراء

نبهوا . ا (انافيروبوفا) الى ان كورنيلوف (هو القائد كورنيلوف الذى يعرف كل انسان انه من اسعد القواد الروسيين) عنده شكوك فيها فيما يختص بمسألة زارودنى (هو الذى كان مشغولا جدا فى القضايا السياسية التي حدثت قبل الثورة والذى صار وزيراً للعدلية فى وزارة كيرنسكي) وهو حاصل على كتب تثبت ادانتها . وهذه الكتب توجد فى دولاب فى غرفة نومه . فيجب التوصل اليها فى الحال . ولو حدثت له مصيبة لصفا الجو وكذلك صديقه ن ف

نيكرازوف المنتدب فى لجنة ميزانية الدوما ولجنة ميزانية السكك الحديدية فانهما الاثنان ينتظر منهما ان يعاكسا مشروعاتنا.

ويجب اثبات تهمة الخيانة على القائد اوستروجر ادسكى المفتش العام للخياله . والادلة التى تثبت الخيانة عليه هى مستندات تقدم فى الجلسة عند محاكمته مثبتة بيعه اسراراً حربية الى النمسا . وذلك لان التهمة التي يبذلها ضدنا والحقد الذي ينطوي علية ضدكم هما خطران عظيمان

سيقدم اليكم نمرة ٢٢٩ شخصياً تقريراً عن المفاوضات مع رومانيا وعن المجهودات التى نقوم بها لقصد منع وصول الادوات الحربية الانجليزيه الي الروسيا .

نمرة ٧٠ يذكر بمزيد السرور مسألة نسف مصنع النيتروجليسرين الذي تم بأحكام عظيم ادى الى محو هذا المصنع برمته والي قتل أغلب عماله . فتفضلوا بدفع الاموال المتفق عليها الى اى ! هو كيماوي اسمه بول أيك صديق راسبوتين)

من الانسب ان يقيم صاحب الجلالة فى تزارسكوى سلو

ويجب على انافيروبوفا ان تخالط بوريس سافنكوف (لقد

صار فيما بعد ملحقاً بوزارة الحربية) قوميسير الجيش السابع ولا تتأخروا انتم نفسكم عن التعرف بالكونتة فيرا كوكوسكين الساكنة في المنزل نمرة ٢٩ بشارع بوتمسكينسكافا ، فانها ترغب في التعرف بكم . واقبلوها بين مريداتكم لانها امرأة جذابة وذات مطامع وهي واقفة على أعمال احد احزاب الدوما

وبالنظر لاحتياجها الى المال ولكونها ضحية لنصب محبها الذي أفلس واسمه سيفرس فهي تقبل بكل ارتياح ان تصير صديقتكم . نمرة ٧٠ هو الذي يرى تنفيذ هذه الفكرة مع اعتقاده في وجوب نشر الوباء وادخال رومانيا في الحرب الى جانب الحلفاء »

وربما يتطرق الي الاذهان ان هذه الوسيلة البشعة التي اوعزت المانيا الى عامليها في روسيا واشياعه باتباعها لاجبار القيصر على قبول الصلح المنفرد فيها شيء من المغلاه ولكنى لا يسعني تلقاء خطور هذه الفكرة على بالى الا ان اذكر اولئك الذين يخامرهم هذا النوع من الشك الى العلب المحتوية على الجراثيم القتالة التي وجدتها سفارة الولايات المتحدة في بوخارست ووضعت عنها تقريرا رسميا

وهـذا شيء يؤسف عليه لأنه بالطبع لو نجح النجاح المنتظر له لقضى على مئات الالوف من افراد الشعب الروسى الابطال الممتلئة قلوبهـم بالروح الوطنى الذين مع الاسف يدير شئونهم قيصر ضعيف الحول والحيـلة يتصرف فيه ذلك الراهب المحتال والقيصرة ذات الميول الجرمانية .

وفى الحقيقة ان اسرة رومالوف قد اظهرت فى هـذه الحرب ضعفا شديدا بينما كان القيصر اسكندر الثالث على نقيض القيصر الاخير، فقد كان اسكندر الثالث جريئا ليس لاحد من الدجالين سلطان عليه كما كان محبا لشعبه وعاملا على اسعاده ولا ازال اذكر قوله لى :

ــ تفضل واخبر مواطنيك بأنى بصفتى قيصر افعل كل مافى استطاعتي لاجل تحسين حالة شعبي العزيز وتقدمه فى ميدان الحضارة والمدينة . وانى واقف حياتى بأسرها على العمل لراحته، واذا اقتضي الحال فاني مستعد لتضحية هذه الحياة فى سبيل خدمته

ثم ذكر لى تألمه من اضرار الفوضويين على التآمر على موته فى حين انه مجد في تحرير شعبه من الحكومة المستبدة

ذات اليد الحديدية ومن الكنيسة الخاطئة

وقد نشرت هذه الالفاظ من ابى الشعب الروسي فى اعمدة التيمس حينما كنت مراسلها فى روسيا، فما ابعد الفرق مابين صاحب هذه الاقوال والقيصر الأخير الخاضع لأوامر راسبوتين عامل المانيا السرى

وابتدأ راسبوتين وشيعته فى تنفيذ أوامر برلين فجاءه الكتاب الآتى بتاريخ ٢٩ من ذلك الشهر متضمنا ما يأتى:

« ايها الاب المقدس اشكرك لتقديمي الى القيصرة والى الجراندوقة أولغا. وحقيقة أن مريداتك يكون اسرة كبيرة تعرف كيف تستفيد بافراح الحياة وملاذها التي تفضل الله بها علينا. وكانت أنا فى الحقيقة محبوبة جداً ورأيت جلالة القيصرة كما يظن فيها من مكارم الاخلاق ولقد كلمتها عن جوسبودين سيفرس حسب ما أوصيتنى وقد وعد القيصر بأن يعينه وكيل محافظ اومسك. وكل هذا بفضلك ايها الاب المقدس. سأكون حاضرة فى مجتمعنا الذي سينعقد فى بيتك غداً وستصحبني اليه ابنتى نادا التي تبحث عن الحقيقة. واختم كلماتى بتقبيل يدك العزيزة (فيرا كوكوسكين).

وجاءه ايضاً الخطاب الآتى :

« ان محل يا كوليف قد وصلت اليه الفواكه المرسلة من قبل اولئك الكرام المتفضلين بها عليكم . وقد توزعت هذه الفواكه على أماكن الخير المديدة وسيكون لهذه الهدايا قيمة ثمينة جداً بالنظر لارتفاع أثمان أمثال هذه الفواكه اللذيذة فى هذه الأيام وقد أرسل قسم منها الى رئيس دير برجورودتسكى في قازان وقسم آخر الى جمعية سان جورج فى كييف فتفضلوا باخطار المتبرعين بها وشكرهم على كرمهم (كارل جونك)

ولبثت العصابة السرية الالمانيـة تنتظر بفارغ الصبر نتائج أعمالها المنحطة . الا أن الاسابيع الثلاثة قد انقضت من غير أن يعم الوباء ارجاء الروسيا الفسيحة

فهال هذا الامر راسبوتين وأيقن باخفاق عمله وتوقع أن تغضب عليه برلين فأرسل الى ذلك البكتريولوجى الالمانى المتزيى بالزى الدانيماركي رسالة يستعلم بها منه عن سبب عدم انتشار الوباء فى الروسيا فأرسل اليه المذكور الرد الآتى :

« ان الفواكه اصبحت غير صالحة للتناول بالنظر لتاخرها

فى النقل تاخرا موجبا للاسف وهذا الامر محزن جدا لانه اضاع نتائج محسنينا الكرام

على أن الروسيا وان كانت قد نجت من خطر الوباء الهائل باعجوبة لم تكن في الحسبان فأن بعض حوادث من الكولرا انتشرت فى جهات منعزل بعضها عن بعض كما تدل على ذلك احصاءات مصلحة الصحة الروسيه

ولما ايقنت العصابة السرية باخفاق هذ المسعى قرر راسبوتين واستورمر ان يوجدا حلا آخر لحمل الروسيا على ابرام صلح منفرد

وفى هذه الاثناء اشتد الحرج على المانيا بسبب تقدم بروسيلوف من جديد وتاخر رومانيا عن الدخول فى ميدان القتال

وفى اليوم الذى احرز فيه ليختنسكي نصره العظيم وردت على راسبوتين الرسالة التلغرافيه الآتية :

مذكرة ١١٢ — ٢٧٥٤٦

ان الحالة فى دوبريجه وصلت الى منتهى الحرج فاطلبوا من س ان يؤثر فى القيصر كما تؤثرون انتم فى القيصرة لحمل رومانيا على الدخول فى ميدان القتال ضدنا

اذا لا يجب عليها ان تلتزم خطة الحيدة مدة طويله وان يرسل س تلغرافا الى بوخارست فى يكون نص عباراته كانذار موجه اليها بانها اما ان تنضم فى الحال الى الحلفاء او تقاتل ضد الروسيا »

وعلى أثر ذلك اندفعت رومانيا بعوامل التحريض على دخول ميدان القتال وهى غير مستعدة استعداداً تاماً وغير مزودة بالمقادير الكافية من الذخائر وقبل أن يعلم الحلفاء محقيقة عزمها ومقدرتها على الوقوف فى وجه العنصر الجرمانى

ولم يمض اكثر من شهر حتى كان ماكنزن يوالي ضرباته الساحقة الواحدة أثر الاخرى حتى اجتاح رومانيا مكتسحاً أمامه الجيشين الرومانى والروسى فى آن واحد وانقلبت انتصارات الروسيين الاولى الى هزائم متتالية وتمكن الالمان الي الاستيلاء على المقادير العظيمة من الغلال الموجودة فى رومانيا وعلى آبار البترول الهائلة نخففوا عن أنفسهم وعن حلفائهم ضائقة هائلة كانت مستحكمة الحلقات عليهم وكل هذا بفضل راسبوتين ونفوذه الاعظم فى القيصرية الروسية

الفصل الثامن

ظهور حقيقة الراهب الدجال

على أثر الانتصارات الالمانية المتعددة في الميادين المختلفة رأى راسبوتين ان يتمم مؤامرة اسقاط الروسيا العظيمة في قبضة المانيا بمفاوضة برلين مباشرة فسافر لاجل هذا الغرض الي عاصمة الالمانيا في ثياب واعظ هولاندي. وكان ذهابه في الاسبوع الاول من شهر اكتوبر عام ١٩١٦ ولبث هنالك في اشد انشغال بمفاوضة الامبراطور شخصيا من غير ان يعلم احد بما يدور بينهما.

ولما طال غيابه وانقطعت اخباره ادرك الهلع القيصرة وستورمر وبروتوبوبوف وانا فيروبوفا فارسلت اليه القيصرة الرسالة التالية بطريقة سرية على اثر وصول اولى رسائله:

« ايها الاب المقدس لقد وصلتنا اخيرا انباء من طرفك كنا اليها اشوق ما نكون! فقد وصل الينا في هذا الصباح رسولك حاملا خطابا الي وآخر الى انا وما تذكره لنا يدل على

بشرى حسنة. اننا لسعداء بعلمنا أنك قابلت غليوم (امبراطور المانيا) وانه ذو حفاوة زائدة بك. والمعلومات التي تحصلت عليها بخصوص الهجوم القريب على الانجليز هي انباء مشجعة جدا. فان الانجليز هم الاعداء الحقيقيون لا ألمانيا. اخبروا جلالة الامبراطور بأن كل شيء جار هنا طبق المرام وان ستورمر يرى ان الصلح المنفرد ضروري لنا وهو يبذل كل مافي وسعه للوصول اليه.

لا يزال نبكي على الجبهة محرضا جنوده على القتال. وان هذا السخيف ومع ذلك فينبغي ان نتخذ نحن جميعا موقفا جريئا. ولقد تألمنا جدا من انزال الجنود الانجليزية في أثينا وهو الامر الذي احدث ابتهاجا عظيما في بتروغرادو. استعلموا عما اذا لم تكن هنا لك وسيلة أخري لمحاولة نشر الامراض المعدية في الجهات المملوءة بالسكان. فأن هذا العمل مؤد حتما الى فقد التحمس لاجل الحرب والى ابرام الصلح في اسرع ما يمكن

ديمتري قد ارسل الى سامارا بامر من نيكي. فاي تخفيف يحدث لنا إذا لم يعد الينا الى الابد. فانه ونيقولا (تعني بهما

غرندقين دمتري پاڤيوفتس ونيكولا ميخايلوفتس عدوي راسبوتين الالدين قد أقسما علي اهلاكنا

صل لاجلنا ايها الاب وامنحنا بركتك لان الكآبة مستولية علينا في وحدتنا أثناء بعادك عنا . اخبروا غليوم بأن يرسلكم الينا على عجل سليما معافي . وساموا لنا على البطل هندنبرج . وان من المفزع الاضطرار الى اظهار عواطف الحقد على الالمانيين في حين ان وطننا الذى لا يهزم اصبح علمه الروسي يسبح في لجة من الدم .

أعلموا هيئة اركان الحرب ان العامل السري لدباخ فورستنان الذى سقط في قبضة القائد نفدور في الشهر الماضي اطلق سراحه بناء على توسط المجلس الحربي وسيجتاز الحدود قريبا الى المانيا . وقد أعدمت الاوراق التي كانوا قد ضبطوها معه

لقد ألقيت التهم على القائد سوخومنيلوف . فقد اتهمه شخص اسمه كارتزوف . ولوضع حل لكل عمل في المستقبل صار القبض على هذا الشخص بتهمة الخيانة وأرسل من غير محاكمة الي وجهة غير معلومة

وعلى كل حال فقد نقص شخص من صفوف أعدائنا وقد بلغنا ان مانازيفتش مانويلوف (السكرتير الخاص لرئيس الوزارة) قبض عليه بتهمة محاولة النصب على رئيسه ولكنى عملت على حمل نيكى على إبطال التحقيق

ولدى أحسن حالا وأنا لا تفارقه لحظة وهي تبثك لواعج أشواقها وتبتهل اليك ان تواصل صلواتك

أقبل يديك المقدستين

(اختك ألك)

ان مسألة اتهام القائد سوكومنيلوف وزير الحربية السابق قد أحدثت انزعاجا شديداً لدى القيصرة لان هذا الوزير كان من أعظم اخصاء راسبوتين ومن أهم العوامل الفعالة فى انهزام الجيش الروسي فهو بهذه المثابة يعتبر من العصابة ذات الميول الجرمانية ومن المخلصين لآل رومانوف عامة وللقيصرة على الاخص وكان الذي اتهمه موظف فى وزارة الحربية اسمه كارتزوف تابع لهذا الوزير ، وعلى أثر هذا الاتهام وضع الكولونيل توجان برنوفسكى رئيس دائرة التجهيزات الحربية فى هيئة أركان حرب الجيش الروسى

تقريراً يؤكد فيه ان برامج التجهيزات الحربية العامة لمملوءة بالاغلاط وان البنادق والمترليوزات والمدافع الثقيلة ومدافع الميدان كانت ذات أعداد غير كافية . وكذلك الجنرال بتروفسكي رئيس ادارة التحصينات سابقاً صرح بأن سوخمنيلوف لم يظهر أزاء المدفعية الروسية طول مدة توليه الوزارة الا مرتين فقط . وأثبت موظف ثالث ان القائد المذكور أبرم عقوداً مهمة لاجل صنع مترليوزات مع مصانع ريكرت بثمن كل مدفع ٢٠٠٠ روبل مع ان مصنع طولا يصنع أحسن مما تعاقد عليه ذلك الوزير بسعر الواحد ٩٠٠ روبل

هذه هي أهم التهم التي تداولتها الالسنة عن ذلك الوزير على الرغم من اختفاء أهم شاهد بواسطة المساعي السرية التي قامت بها القيصرة

وفي الوقت الذي استلم فيه راسبوتين وهو في برلين خطاب القيصرة استلم فيه أيضاً خطاباً من صديقه بروتوبوبوف وزير الداخلية هذا نصه :

« ايها الاب جريجوار اكتب اليك بسرعة وأنا غير

خال من عوامل القلق. فان نيقولا وديمترى يتآمران علينا !
فالتفت جيداً ! لانهما يعلمان أشياء كثيرة عنا فيجب علينا أن
نكون فى منتهى الحذر . لقد كنت بالامس فى قصر
سارسكويسلو وتحادثت فى هـذا الخصوص مع ف (هو
الـكونت فردريكس رئيس البلاط القيصرى الخاص) .
وتوجد مؤامرات سرية ترمي الى إحباط مساعيها . وقد
أصدرت الامر الى البوليس السرى بعدم إدخاره وسعاً لموافاتي
بتقرير ضاف فى هـذا الصدد . فاعتمدوا علي فى اتخاذ كل
الوسائل الشديدة

علمت منذ ساعة ان شخصاً اسمه غليوم جبهارد يقطن
بالمنزل نمرة ٢١ بشارع هيلدجارتستراس بحى ويلمسدورث
ببرلين يعرف انك فى العاصمة الالمانية ومن المحتمل جداً انه
يتتبع حركاتكم بقصد أن يعلم بها أعداءنا هنا .فأخبروا صديقنا
رقم نمرة ٧٠ وألحوا عليه فى القبض حالا على جبهار بصفته
جاسوساً روسيا . وإعدامه هو الامر الوحيد الذى يؤدي
الى إغلاق فمه والرجل الذى له علاقة به فى بتروغراد اسمه
تشارتوفسكي عضو فى الدوما وسأصدر الامر بالقبض عليه

متهماً بجريمة التمالؤ مع بعض أشخاص في المانيا

س ينتظر بنافذ الصبر انباء الهجوم الالماني الجديد على الانجليز في الفلاندر وعن نتائج حرب الغواصات

أخبروا مستشار الامبراطور ان الانباء الواصلة الينا من وشنجتون تفيد ان الرئيس ويلسن رجل صلب الرأى ، واعلموه بان ج وج اللذين يعتبران كعاملين المانيين فى الولايات المتحدة قد اكتشف امرهما وهم تحت خطر القبض عليهما. فيمكنه ان يتخابر معهما بالتلغراف اللاسلكي ويحذرهما فى هذه الاثناء بان الوقت لم يزل مساعداً على هذا التحذير .

وأعلموا المستشار بان المجهودات التى بذلناها بقصد نشر المجاعة قد فشلت على اثر تداخل نيقولا وديمترى فى هذا الموضوع . ونحن نخشى اذاما استمررنا على العمل لهذه الغاية ان تنكشف حقيقة نوايانا. ان مجهودهما لايمكن تجاهله . فألحوا فى اعادة تفريق الفواكه فى الاماكن الخيرية .

ان التهم الموجهة الي سوخمنيلوف فى غاية الخطورة ويمكن أن تؤدي الى عواقب وخيمة . ومع ذلك فقد عرفت مقاصد المهيجين وسألقي القبض عليهم.

ان جلالة القيصرة منزعجة لأجلك فاكتب اليها واكد لها ان احوالك سائرة على غاية ما يرام وأما من جهة الشعب الروسي فانك لديه في منزلة بطرس الاكبر ، الست المدافع عن الروسيا ضد اعدائها الحقيقيين المتزيين بزى الاصدقاء وهم اولئك الحلفاء المزيفون ؟

سيزورك رجل عظيم اسمه اميل دولن فى فندقك فاستقبله اذا جاءك فربما يحمل اليك اشارة تلغرافية سرية مرسلة الى ريفا ومنقولة منها

قدموا احتراماتى العظيمة لجلالة الامبراطور . لقد كان من اهم آمالى ان اشترك معكم فى التواجد فى بتسدام المدينة العظيمة الباهرة . ان افراد شعبنا الروسي البسطاء ذوو قرائح بليدة ولولم يكنوا كذلك لكنا على اتم اتفاق مع برلين ضد تلك الشعوب المتضعضعة التي نعتبرها حليفتنا الآن .

اهديك تحياتى واترقب عودتك اخوك

د . ا . بروتوبوبوف

فهذه الرسالة الصارة من وزير داخلية الروسيا الذى يعتبره قومه اشجع وطني يسير الى الموت بوجه باش لاجل قيصرهم

تدل على مقدار ما كان يعده النسر الجرماني من القوة والحيل من مدد بعيدة لينشب مخالبه الحادة في جسد الدب الروسي ويصرعه على الارض ثم يحاول خنقه واخماد انفاسه وكذلك كان يفعل لاصطياد الحوت البريطاني الذى يريد ان يمزق جلده . واذا كانت الوسائل التي اتخذتها الامبراطورية الألمانية لصدع جدران روسيا العظيمة قد ذكر الشيء الكثير منها في هذا الكتاب وهي تظهر للقراء في مظهر العجب العجاب فأن الوسائل التي اتخذتها لتعميم المجاعة في في الجزر البريطانية وتحريك الثورات فيها في منتهى ما يصل اليه التصور من التفنن والتحايل لاعتقادها بأن البريطانيين هم ابغض الاعداء اليها .

اما راسبوتين فقد قضى شهر أكتوبر متخفياً في ثياب واعظ هولندى منتحلا اسم فان ميوفن ومقيما في فندق وستلفشر هوف في شارع ناوشنارس في شمال ليندن وكان يقابل الامبراطور يوميا ويختلى به خلوات طويله عارضا عليه احوال البلاد الروسيه بدقة تامة ومتلقيا منه الاوامر الواجب اتباعها تفصيليا . وقد بلغ من امر هذا الراهب الدجال ان تسلط

على عقل امبراطور المانيا واحرز ثقته العظمي كما فعل مع القيصر والقيصرة .

ولما وصلته الرسالتان المتقدم ذكرهما رد عليهما باشارة تلغرافيه لاسلكيه تلقتها باخره روسيه حربية مستقرة لهذا الغرض فى البلطيق في مركز الاميرالية فى ثغر ريفال . وهذه الرسالة السريه ارسلت الى بيتروغراد وهذا نصها :

الى صاحب السعاده الوزير بروتوبوبوف

ان الامور جارية في مجرى حسن وقد حظيت اليوم بمقابلة الامبراطور فى قصر نيوز استغرقت ثلاث ساعات . قولوا لشارل ميشيل (هو الدوق شارل ميشيل الميكلبورجي الستير لدزى الذى يشغل مركز مستشار المانى للقيصره والذى تجنس بالجنسيه الروسيه فى يوليو سنة ١٩١٤) ان الامبراطور غليوم يهديه تحياته وتخبره انه قد استلم تلغرافه المرسل بتاريخ ٣ الجارى لقد رؤى من الانسب استدعاء الجنود التي كانت محتشده فى هانبووج وبرمن بقصد الاغاره على انجلترا لان اركان الحرب العام بعد ان درس المسألة درساً عميقاً قرر ان مثل هذه الإغارة معرضة لكارثة عظيمه واستصوب استبدالها

بهجمات جويه وهجمات أخري بالغواصات لجعل بريطانيا الكبيره عرضه للهلاك وقد علمت من محادثة دارت بين الامبراطور و بيني ان لندره ستؤول الى الدمار بواسطة عدة اغارات هائله بالمناطيد التى تلقى مقادير جسيمه من قنابل جديده محشوة بالغازات الخانقه وقذائف متفجرة ذات قوة ساحقه في منتهى الفظاعة

ألحوا على س لاجل أن يفسخ كل العقود المبرمة مع ريكر . فليس عندى أقل خوف من متهم سوخومنيلوف ، فهو شخص وضيع ولا يسمع له كلام . وعلى كل حال فمن الاصوب أن يصدر القيصر أمره بمحو الحكم (قد قبل القيصر ما عرض في هذا الصدد غير أن هذا القائد حوكم بعد خلع القيصر)

تحياتى مهداة اليك وإلى قيصرتك العزيزة إنى أصلي وأبتهل لاجلكم جميعا وأرسل اليكم بركتي

أخوك

(جريجوار أيفيموفتش)

وبعد إن قضى راسبوتين مهمته فى عاصمة الالمان عاد

الى بتروغراد في ٢٩ اكتوبر وما كاد يصلها حتى ذاعت أنباؤه بين مريداته اللواتي كن يعرفن عنه انه سافر الى دير فيخوتوريه الذى كثيراً ما تحدث فيه أفظع حوادث الفسق والفجور فعجلت مريدته وعشيقته الجديدة مدام كوكوشين بارسال الخطاب الآتى اليه :

« أيها الاب المقدس لقد علمت الساعة بابتهاج من أنا انك قد وصلت هذا المساء . فليبلغك الله مطلبك من زيارتك ستكون بنتي ناديا معي في اجتماعنا الذى سينعقد الساعة السادسة غداً عندنا (فيرا)

وفى اليوم التالى لوصوله الى عاصمة الروسيا ذهب الى القصر القيصري واختلى بالقيصرة التي قضى معها النهار طوله عارضا عليها الرسائل التى جاء بها من برلين مع تبليغها المعلومات والتعليمات السرية التى تلقاها من امبراطور المانيا نفسه

ولقد كانت القيصرة تخشى بأس الجراندوقين نيقولا وديمترى ولا سيما الاخير منهما الذى كان بالنظر لحداثة سنه أعظم نشاطا واكثر اهتماما بالمسائل السياسيـة . وأرادت

القيصرة أن تتلافى شرهما بمصالحتهما الا انهما رفضا مسعاها بكل شمم وأباء وواصلا مسعاهما لاجل محاكمة القائد سوفومنيلوف لعلمهما بأن محاكمته ستؤدي الى فضيحة راسبوتين والى هدم الحكم الاستبدادى فى الروسيا من أساسه

غير ان القيصرة وبقية العصابة الموالية للالمان لم تجد من السهل عليها وهي الآخذة بأزمة الامور ان تدع هذين الاميرين يتغلبان عليها ويكشفان مخبآتهما فلم تمض بضعة ايام على اختفاء منهم ذلك القائد حتي وجد مقتولا على مقربة من كيسلوفودسك وهي بلدة صغيرة فى القوقاز الشمالى فذهب هذا الوطني الغيور ايفان كارتزوف ضحية غيرته الوطنيه واخلاصه. وكذلك سعى وزير الداخليه بروتوبوف الى القبض على الشاهدين الآخرين ضد القائد سوخمنيلوف وزير الحربية السابق متهمهما بالخيانة وقد اثبت عليهما هذه الجريمة بمستندات كتابية وضعها رجال البوليس السري خفية بين امتعتهما .

وبهذه الطريقة تمكن افراد العصابة الجرمانية من التغلب على مقدمات العاصفة الهائجة من بعيد فى الافق نحوهم والتي اخذت تدنو منهم شيئا فشيئا على الرغم من مجهوداتهم العظيمة .

ولم يكن راسبوتين من البساطة الى حدانا لا يدرك اهمية الخطر المحيط به وبعصابته ولذا رأى ان يبرز الى الميدان لابسا جلد نمر حرذ وان يدخل في مجال اللعب ويرمى بآخر ورقه من المجازفة فى خيانة الامة الروسية التى اضبحت لعبة بين يديه .

الفصل التاسع

﴿ المستندات الدالة على الخيانة ﴾

ان المانيا لاتنهج منهج الصدق والاخلاص حتى مع أولئك الذين يقبلون ان يرتكبوا جريمة الخيانة لاجل الانتصار لها . وما ذلك الا لان تواجد راسبوتين فى برلين ووعده الامبراطور بالعمل لنصر المانيا على الروسيا وابرام الصلح المنفرد بين الدولتين على عجل قد ذاع امره فى تلك العاصمة ولم تتمالك الدوائر السياسيه عواطفها ففاضت الى الصحف التي لم تلبث ان اشارت الى تلك الوعود اشارات اغضبت راسبوتين الى درجة عظيمه لانه كان يريد ان يبقى كل مساعيه تحت اذيال الكتمان حتى تظهر فى مظهر النجاح الباهر .

وهذا مثال مما كتبته صحف المانيا اذا ذاك . قالت صحيفة الكولونيش زايتونج فى مقام الاعجاب والافتخار :

« اننا نحن الالمانيين لانخشى شيئا فاننا نعتمد على ستورمر فى عدم أقامة عقبه أمام رغائب الشعب الروسى المتجهة الي ابرام الصلح . »

وكذلك جريدة الرانحبوسنت كتبت ما يأتى :

« اننا علي ثقة تامة من ان ستورمر سيحتفظ بكل استقلاله في علاقاته مع داونبج ستريت »

على ان ستورمر اراد ان يصلح ما افسدته السياسة من مساعيه لمصلحتها فأخذ ينشر في كل مكان قوله : لاصلح على انفراد « وأخذ يتبع هذا القول بالتلغرافات المتوالية الى راونبج ستريت مؤكدا لانجلترا عزمه على مواصلة القتال الى النهايه

واذا كانت اقوال ستورمر قد وضعت حجاباً كثيفا على ابصار الحلفاء فان رجال الوطنية الروسية وفى مقدمتهم الجراندوقان نيقولا وديمتري اصبحا على يقين من حقيقة ما يجرى فى الخفاء فعزما على ان يكشف امره لجمهور الروسيين

أما ستورمر الذى أجذل امبراطور المانيا له العطاء بناء على ارشاد راسبوتين فقد تمكن من جعل الروسيا فى عزلة تامة عن حليفاتها وحال دون اتصال مندوبى الشعب بهيئات الحكومة الروسية . ومع انه قد تربع فى دست الوزارة عشرة أشهر فلم يظهر فى الدوما أمام النواب الروسيين سوى مرتين

وابتداء من أول نوفمبر ١٩١٦ بدأت الحوادث فى داخل الروسيا تأخذ شكلاً جديداً . فتوالت اجتماعات عصابة الحاشية فى بيت راسبوتين لان ستورمر وبروتوبوبوف كانا يريان الحالة فى خطر شديد لان الاشاعات ابتدأت تنتشر بين الجمهور بطريقة سرية بوجود خونة وبأن أصحاب الاموال ورجال الحكومات قليلو الاهتمام بأمر الانتصار فى ميدان القتال

وفى هذه الاثناء ارتكبت القيصرة غلطة هائلة فقد تكلمت أمام ضابط شاب من البلاط القيصري عن انتشار وباء الكوليرا بواسطة عمال المانيين حاولوا نشره بتوزيع فواكه مسممة على المحلات الخيرية ، واسم هذا الضابط تسوزيكوف

الا أن راسبوتين ذو الدهاء العجيب واليد الحديدية التي لا تعرف الرحمة لم يشأ أن يدع هذه الحوادث تنتشر فى كل مكان ، بل تداركها عند أول مرة تفوه بها هذا الضابط

لم تمض ثلاثة أيام على تكلم القيصرة مع هذا الضابط في هذه المسألة السرية الخطيرة حتى تقابل ليلا في ملهى البوف فى حي الفونتانكا بامرأة ذات جمال فتان وعينين سوداوين ساحرتين فشاغلته ولم يقو على مغالبة هواها فأخذها وتناولا طعام العشاء سوية فى مطعم بيغانو وهو محل مشهور جداً فى حي المورسكايا . وبعد ذلك لم يعلم من أمرهما شيء سوى أن الضابط تسوريكوف وجد فى اليوم الرابع من إفشائه السر الذي قيل أمامه ميتاً فجأة فى مسكنه الكائن فى حي الموسكوفسكايا ببتروغراد . وأما الحسناء الفاتنة فلم يقف لها أحد على خبر

وقد بلغ الخبر الى القيصرة وهي فى طريقها الى ليفاديا فأرسلت من القصر الملوكي الخاص وهو فى سينيلنيكوفو الرسالة التلغرافية الآتية التي تدل على سرورها من مقدرة وحزم راسبوتين :

« أن الحادث الذي أصاب الضابط تسوريكوف داع الى الاسف . فتفضلوا بوضع اكليل على قبره من طرفي .
صل لاجلنا (اليك)

وفى الايام الاخيرة من شهر اكتوبر انضم الى الجراندوق نيقولا كل من الجراندوق سيرج الذي كان مفتشاً عاماً للمدفعية ، والقائد فرناندبا الملحق السابق بوزارة الحربية والمسيو تيماشيف بعد أن بحثوا فى مسألة التهم الموجهة الى القائد سوخومنيلوف وزير الحربية السالف وتأكدوا من مسؤليته . وقد اكد زميله القديم فيرناندبا انه أهمل بالمرة أمر تجهيز الجيش وانه أمضى اتفاقيات على صنع الاسلحة مع مصانع ياخذ منها عمولة وان الجيش الروسى بعد مضي مائة وثلاثين يوماً اضطر الى ان يبقى في ساحة القتال بغير قنابل. وصرح الجراندوق سيرج فى بعض الاجتماعات السريه التي عقدت فى بيتروغراد بان الوزير سوخومينلوف كان يمنع ايصال رؤساء الدوائر المختلفة فى وزارة الحربية بالقيصر وتقديم تقاريرهم الشخصية اليه وانه منع التوصية علي صنع مدافع جديدة فى مصانع شنايدر .

وحالما تأكدت القيصرة من راسبوتين بان التهم ثابته علي وزير الحربية السابق ارسلت التلغراف الآتي الى القيصر الذى كان حينئذ فى ميدان القتال :

« من مصلحتنا جميعاً إن ارجو منك وضع حد للتهم الموجهة ضد سوخومنيلوف . فان بوريس يهدد بالاستقالة اذا استمرت مقاضاته . والحالة تزداد حرجا اذالم تتلافها حالاً »

فارسل القيصر الى زوجته الموجوده فى ليفاديا التلغراف الآتي :

« لقد اتخذت الوسائل الضرورية لمنع تكرر هذه الاعمال مرة اخرى »

وقد تم له ما اراد فلم يحاكم وزير الحربية السابع الا في ٢٨ اغسطس سنة ١٩١٧

وفى هذه الاثناء عادت القيصرة الى بيتروغراد لتترأس اجتماعات العصابة الجرمانية السرية

ورأي زعماء هذه العصابة الثلاثة وهم راسبوتين وستورمر وبروتوبوبوف ان يحركوا الشعب ويبثوا القلاقل والاضطرابات بين افراده ليثوروا على الهيئة الحاكمة ويجبروها

على ابرام الصلح في الحال وذلك بأيصال المجاعة الى درجة متناهية في الشدة . فنجحوا فى اعمالهم الى درجة اصبحت فيها شرارة واحدة كافية لاشعال ذلك الجو المكهرب

وكان راسبوتين هو العامل الأهم فى اضرام نيران الفتن والاضطرابات فقد بث بمهارة فائقة اشاعات فى بتروغراد بأن الهياج قد حدث في موسكو وان السلوك التلغرافية قدقطعت والبوليس اعتصب والجنود ابوا ان يطلقوا النار على الجمهور . واخذت تنتشر امثال هذه الاشاعات فى موسكوعن بتروغرادوفى بتروغرادعن موسكووعن خركوف ايضا وفى خركوف عن موسكو وفي موسكو عن خركوف ايضا . وهكذا تمكن عاملا هذا الراهب المقدس وهما لاكاريوف وفيليمينوف ان يحدث كل هذه الاشاعات المهيجة التى سرت فى جميع انحاء الروسيا كالتيار الكهربائى ثم فرا بهمة رئيسهما راسبوتين الي السويد . وقد تمكنا قبل فرارها من ان ينسفا منجمين كبيرين بالقرب من موسكو والفرن الكبير المعد لاذابة الصلب بجوار اوبوخوف فنجم عن هذه الانفجارات ضياع انفس بشرية عديدة وكذلك

اقدم بعض عماله السريين على نسف مصنع البارود الكائن امام شوسيلبورج الذى كان قبل الحرب ملكا لبعض الالمانيين ولكي تكون هذه الدسائس محكمة وخافية الاغراض عن انظار الجمهور اوعز ستورمر الى حزب العمال المشتغلين بصناعة الادوات الحربية بأن ينشروا دعوة ترمى الى تهدئة الافكار وموالاة العمل للتمكن من الاستمرار على الحرب وعلى اثر ذلك خطب ستورمر نفسه خطبة دعا فيها الجمهور الى عدم الاهتمام بالاشاعات الملفقة المنتشرة لقصد سيء

ومن مهارة العصابة الجرمانية ان بروسيلوف فى نفس ذلك اليوم سئل وهو فى المعسكر العام الروسي الكائن في الجبهة الجنوبية الشرقية بمعرفة المستر ستاندلى واشبورن فأجاب :

ـــ ان الحرب قد اصبحت مكسوبة اليوم ولو انه من المتعذر الحكم على مقدار الزمن الكافي لاقتناع العدو بان الغرض الذي اغرق لاجله أوروبا فى لجة من الدم قد ضاع عليه بتاتاً . ومن جهتي شخصياً فأنى مااعتقدت مطلقاً من الاول بان العدو سيكون له اقل حظ في احراز انتصار

ومن ابتداء ٢٩ اكتوبر شرع راسبوتين يتجول في البلاد الروسية لبث دسائسه من جهة ولانشاء فروع لجمعية الاخوات المريدات من جهة اخري وفي اثناء هذه الجوله علمت القيصرة بان مليوكوف عزم على التشهير براسبوتين بناء على تحريض الجراندوقين نيقولا وسيرج وديمترى فجزعت اشد الجزع وارسلت الى محظيها راسبوتين من قصر تسارسيكوي سيلو التلغراف الآتي بتاريخ ٧ نوفمبر :

« ايها الاب المقدس . لقد اعلمتنى انا بعزم مليوكوف على ان يصرح باشياء خطيرة في الدوما . فيجب على القيصر ان يؤجل اجتماع هذا المجلس من جديد . وقد ارسلت اليه لاجل هـذا الغرض فاذا لم يتم ذلك فان اقتراح رقم ٧٠ المتضمن دفع عشرة آلاف روبل الى العاملين ج ، ب للتخلص منه يقتضي تنفيذه . وانى على استعداد لان ادفع مائة الف روبل في سبيل سد فمه الى الابد فتفاوضوا مع بروتوبوبوف في هذا الصدد . ولا ادرى لماذا لم يتبع معه ما اتخذ ضد سوريكوف ؟ فقد انتهت حياته بطريقة هادئة وطبيعيه ! وفي استطاعتكم ان توجدوا الآلة الفعالة لهذا العمل كما حدث

فى المسألة السابقة . وانى اتوسل اليكم ان لاتاخذكم الرحمة فى هذا الصدد فأن كل الامور تتوقف على اختفاء مليوكوف فاننا نذهب سدي اذا اذاع معلوماته في الدوما .

الثم يديك العزيزتين وأولغا وانا نلتمس بركاتك

بنتك المخلصه

وقد اتخذت بالفعل الوسائل اللازمة بناء على امر القيصرة لإعدام الاستاذ العلامة مليوكوف الذى صار الاعتداء عليه مرتين ولكن من حسن حظه اخفق ذلك الاعتداء

وارسلت القيصرة تلغرافا الي القيصر بشأن تأجيل اجتماع الدوما وكذلك ارسل راسبوتين اليه تلغرافا فى هذه الصدد فارسل القيصر التلغراف التالي من المعسكر العام بالجيوش الروسيه الكائن في الجنوب الغربى بتاريخ ٨ نوفمبر :

اخبري ابانا العزيز (راسبوتين) بانى اخشى ان يكون لتأجيل الدوما تأثير سيء وأن لا نستطيع تنفيذه وقد سمحت لبروتوبوبوف أن يقبض على ميليوكوف بتهمة التآمر ولكنى أرى أن مثل هذا العمل يعتبر من ضعف السياسه . وأنا اوافق على ان الحالة اليوم خطرة جدا كما انى قابل اتخاذ الوسائل

اللازمة فى الساعه الاخيرة لمنع مليوكوف من التكلم ».

وعلى أثر وصول هذا التلغراف دعت القيصرة صنفيها راسبوتين وعرضته عليه فقرر عقد اجتماع سرى حضره ستورمر ومدام فيروبوفا وقرروا أمورا سرية ذات شان خطير.

ومن المعلوم ان راسبوتين لديه عقاقير هنديه وصينيه تقضي على حياة أى شخص بدون أن يعرف سبب الوفاة فأراد أن يستعملها فى اعدام مليوكوف الا ان هذا العلامة كان يعلم أنه تحت طائلة الخطر من اعدائه فاتخذ اشد طرق الحذر ولم يدع احداً من الرجل أو من النساء يقترب منه

وفي ظهر يوم ١٤ نوفمبر كتب الوزير بروتوبوبوف المذكرة الآتية الى راسبوتين

« يا عزيزى جريجوار كيف أخفقت خططك بالمرة وكيف استمر ميليوخوف على البقاء حياً الي الآن ؟ ان الدوما سيجتمع فى الساعة الثانية بعد ظهر هذا اليوم ! فهلا تستطيع أن تعيقه عن حضور هذه الجلسة ؟ أظهر لنا احدى معجزاتك الآن !! ان سكورزوبادسكي (هو عامل الماني

مشهور جداً) قد خاننا وسلم م (ميليوخوف) مستندات تثبت التهمة بوضوح تام . وقد حاولنا أن نقبض على هذا الشخص الليلة الماضية في ريغا الا أنه أفلت منا ! اتخذ كل الاحتياطات لسلامتك واعلم بأن م اذا حضر الجلسة ضمنا كلنا تقبل عواطف الود المخلص اليك .

د . ا . ب

على أن موعد إفتتاح الدوما أزف وحضر هذه الجلسة التاريخية سفراء فرنسا وانجلترا وأمريكا وبقية الدول الاخرى ونواب الاحزاب الاكتوبرية والتقدمية والوطنية وأحزاب الوسط . فوقف حزب الاكتوبريين وحزب آخر وهتفوا للحلفاء ثم قالوا « لابد للروسيا من الانتصار ! »

وقد وقف أول خطيب نائباً عن النادى البولونى موجهاً خطابه الى الحلفاء إحتجاجاً على عمل النمسا والمانيا ومؤملا أن تتفق سائر الدول على حل المسألة البولونية عند النظر فى عقد الصلح

وكان الرجلان اللذان حكمت عليهما العصابة المعلومة بالاعدام جالسين فى مكانيهما فوقف أولهما وهو ميليوكوف

وألقى خطبة على الدوما حذفتها الحكومة برمتها ذكر فيها محاولة العصابة السرية الاعتداء على حياته المرة بعد المرة . وبعد أن تكلم طويلا بلهجة حماسية كهربت أعضاء المجلس فضح المقدس راسبوتين مبيناً انه العامل الوحيد الاكبر الذى يدفع الامبراطورية بسرعة الى هوة الفناء ثم أنحى على الوزير ستورمر ولقبه (جوداس الخائن) ثم أمسك بين يديه محفظة مملوءة بالمستندات وقال :

— عندى هنا أيها السادة الارقام والادلة الدالة على مقادير النقود التي دفعت ثمنا للخيانة !

وبلغ من تأثر المجلس انه أصبح فى حالة من الذهول منعته من أن يلقى أقل حركة . ثم وقف صديقه بوريشكيفتش واستأذن المجلس فى أن يسمح له بالقاء خطبة باللغة الالمانية واعدا بأنها ستكون مختصرة وبالفعل لم تكن خطابته سوى كلمتين هما :

— اوفميستر ستورمر

فأدرك اعضاء المجلس غرضه وصاخوا جميعاً بهتاف عال بلغ أعنان السحاب .

وكانت القيصرة فى هذه الاثناء تصلها وهي فى قصر

الشتاء كل الاقوال التى تقال فى الدوما بواسطة تليفون حسب امرها كل عشر دقائق مره . فحينما بلغتها الفضائح التي ذكرت عن ابيها المقدس وصديقها ستورمر صاحت صيحة هائلة وارتمت على الارض فاقدة احساسها .

وبقى راسبوتين ثابت الجأش قوى الاعصاب غير متأثر بكل مادار فى ذلك المجلس لعلمه بأنه وان كان يقامر مقامرة مشئومة الا أنه لم يلق بعد على مائدة القمار السياسية بورقته الاخيرة . ولهذا علت ثغره ابتسامة هائلة .

وفى نفس عصر هـذا اليوم دقت الساعـة الاولى من ساعات تداعى اركان صرح آل رومانوف !

الفصل العاشر

حيل الدجل

على اثر هذه الحوادث اصبح اسم راسبوتين ولو كان مطلقا على اى شخص آخر ممنوعا من النشر فى الصحف وكذلك صار القبض علي كل من يتسمى بهذا الاسم والقاؤه فى غيابة السجن منعا للاشارة الى هذا الاسم بأية طريقة كانت

أما الاخوات المريدات فقد هاج غضبهن على الذين مسوا كرامة الاب المقدس المرسل من قبل العناية الالٰهية لانقاذ الروسيا وتخليص أهليها من الا ثام والمعاصي بواسطة خطيئة الجسم التي تطهر من يرتكبها من سائر الخطايا

واخذن يجتمعن على التوالى سواء فى قصر الشتاء او فى بيت راسبوتين ويصلين بحرارة قائلات :

« ايها الاب المقدس انت المصطفى من الله . فمنحنا بركتك ونستحلفك ان تصلي لاجلنا . ولتطهر المعصية التى نرتكبها هنا نفوسنا . ولنتمكن نحن اخواتك المريدات من الوصول الى ارقى درجات التقوى بفضل الله وعفوه . »

وهذه هي الصلاة التى سنها هذا الراهب لمريداته

ولكن على الر[illegible] كل هذه الحيطات ومن سخط المريدات . ومن غضب القيصرة وجميع أعضاء العصابة السريه فقد لهج القوم فى العاصمة الروسيه بالفضائح التى رمي بها مليوكوف هذا الراهب فى مجلس الدوما واخذوا يذكرون عنه وعن صديقه الوزير الجرمانى ستورمر تروسهما الدعوة الإنلائية وعملهما لانتصار المانيا . وقد آلمت هذه الحوادث

القيصر الى درجة جعلته لا يمكث في بترغراد سوى وقت قصير ثم يغادرها سريعا الى جبهة القتال وهو متوجس خيفة من حدوث شغب أو فتنة فى العاصمة .

وقد بلغ من تخوف العصابة ان كتبت انا فيروبوفا الى راسبوتين الكتاب الآتى بعد ساعتين من انفضاض الدوما :

ان جلالة القيصرة متعبة . اذ يظهر ان كل شيء قد ضاع . وسيسافر القيصر الى الجبهة فى منتصف الليل فانه يخشى حدوث هياج في بترغراد وهو يأسف على عدم التمكن من القضاء على م (ميليوكوف) قبل فوات الوقت فى سبيل سلامتنا . وقد قال عنه انه قد ارتكب جناية فكان من الواجب سد فمه . فاذا اردت إنقاذ رأسك فسافر في الحال بقصد الزيارة . وعليك بابداء رؤيا الهاميه تهدي غضب الجمهور وتعيد ثقتهم بك ان م يتهمك بالاساءه الى القديسيه وبانك عبثت بطهارة النساء واستنسلامهن اليك . وقيصرتنا العزيزة تعلم أن لا اثر من الصحة لهذا الادعاء ولكن يجب أن يبقى هذا الاعتقاد غير قابل للتجريح . فهل يلزم ان يصاب الكزيس بنوبة تجذيبه من نوبات مرضه ؟ اذا قلت نعم

فتنبأ بالساعة واليوم اللذين سيصاب فيها ولى العهد . واني منتظرة ردك الخصوصي وأنا استمطر بركاتك اختك

انا

فلم يسع راسبوتين بعد هذا الخطاب الا أن يجيء مسرعا الى قصر الشتاء ويقابل القيصره ويقول لها :

ـ أى أختي نحن نعلم ان أعداءنا يحاولون أن يحيطوا بنا ولكن الله سندناوظهيرنا . فاذا كان من المؤكدان الشعب الروسي يتهمني فليس باقل من ذلك تأكيدا أن الله فى ساعة انتقامه وغضبه سيصب جام نقمته على ولى العهد . ان ميليوكوف المتدرع بحماية الشيطان قذفني بسهامه السامة فانا اذن اسافر غداً للحج وهنالك وأنا على بعد في عزلتي سأصلى لاجل مستقبل المملكة ولاجل السماح والغفران لأولئك الذين اجترأوا على الوشاية فى حق المحرر الذى ارسله الله اليهم ! فارتاعت القيصرة وصاحت وهى منتفضة من فوق كرسيها قائلة :

ـ كلا .. كلا انك لن تفارقنا فى مثل هذه المواقف المحزنة . كلا ايها المقدس انت لن تدعنا الى ايدي القضاء

تتروح بنا كيفما تشاء

— أن هذا شيء مخطوط فى لوح القضاء . وقد تجلت لى منذ ساعة رؤيا الهامية وسمعت الصوت الصادر من عل فيجب أن اطيع ! ولكنى انذرك ياختى بأن الله وهو متجل فى غضبه سينتقم من ولدك فى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى لسفرى اي لغد .

— اذن فهو سيصير مريضا مرة أخرى . أليس هذا هو الذى تريد أن تقوله ! أنك ستصلى لاجله وأنك ستنقذه. فلتتذكر انه ولدى وأنه منتهى آمالى فى هذه الحياة !

— كل ماقلته هو ايضاح الحقيقة ياأختي ! ولكنى سأصلى لإجل شفائه ، ونحن يمكننا أن نؤدي كل ماعلينا من الواجب بتضحية الجسم وبالصلاة . فليمنحه الله الصحة والعافية !

وما أتم هذا الكلام حتي رسم علامة الصليب وشخص ببصره إلى السماء . فركعت القيصرة على ركبتيها أمامه وانكبت على أصابعه توسعها تقبيلا وفي هذه الاثناء كانت انا ترمق بنظرها هذا المنظر وهى ترسم علامة الصليب وتتلو الصلاة المعهوده وعلى الرغم من المدامع التي جرت من مقلتي القيصرة

على خديها الناعمين فأن راسبوتين لم يتحول عن تحديد الساعة التى سيصاب فيها وريث التاج الروسي وهي الساعة التى ستضع صنيعته أنا دواءها المعهود للصبي المسكين فى مأكله ومشربه فيسقط طريحا فى الفراش . وعلى أثر ذلك سافر للزيارة او بقصد الحج كما يقول إلى دير القيصرة .

أن اتفاق المؤامرة التى حدثت لاجل الاعتداء على حياة الاستاذ ميليوكوف اظهر للعصابة السرية ولمكتب التجسس فى برلين — الذى يشتغل بطريق السياسة السويدية أن الجراندوقين سرج نيقولا وديمترى يعضدهم فريق من الاشراف قد صحت عزيمتهم على استئصال شأفة الراهب الدجال .

وقد كان لالمانيا عامل سري اسمه سكوروبادسكي كان صديقا للبوليس السرى الشهير آزيف صاحب الرحلات الشهيرة قبل الحرب التى استدعت شروحا طويلة عليها والذى كان مستخدميه فيما بعد انضم إلى البوليس السرى الروسي تحت رياسة بروتوبوبوف وبعد أن التقط أسرارا عظيمة ومستندات هامة واصبح وقفا على دقائق الدسائس الالمانية

في البلاد الروسية بواسطة ستورمر وراسبوتين اصبح مستعدا لان يتاجر بهذه الاسرار لمن ينقده مبلغا أكبر من سواه فاهتدى اليه الوطنيون الروسيون بأرشاد الجراندوق نيقولا فاشتروا منه المستندات التى لديه بمبالغ طائلة وهى تلك التى عرضها ميليوكوف في الدوما وهذا الرجل سبق له من قبل أن عمل علي خراب بيوت عدد كبير من الموظفين الروسيين الذين كانوا يخالفون مبادىء وافكار راسبوتين واستورمر وبروتوبوبوف الجرمانية ولم يتحول عن خطته الاولى مشايعة للافكار الوطنية الحرة الروسية بل انتقاما من راسبوتين الذى كانت احدي محبوباته هذا الجاسوس قد انضمت إلى تلميذاته المريدات وتشاغلت به عن عشيقها الاول فنقم لاجل هذا السبب على راسبوتين واراد الانتقام منه بالوسيلة المتقدمة.

ولقد اسخطت اقوال ميليوكوف وصديقه بورشكيفتش راسبوتين وستورمر وبروتوبوبوف واراد الاخير بصفته رئيس البوليس السرى أن يقبض على النائب البولونى ولكن هذا النائب تمكن من الفرار والمظنون انه وصل إلى باريس ولقد كشفت لنا مستندات راسبوتين عن دخائل الخونة

فى البلاد الروسية فهل تتاح لنا فرصة ينكشف فيها القناع عن امثالهم في البلاد الاخري من الذين غرزوا بملوكهم او برؤساء جمهورياتهم لاجل مصلحة العنصر الجرمانى ؟ بعدان سافر راسبوتين من بيتروغراد الى دير القيصرة مستصحبا معه هيليودور حتى اذا مابلغ ذلك الدير اختلى فى احدى اروقة الدير زاعما انه متقطع الى الله وفي الحقيقة انه كان منقطعا الى فتاة حسناء كانت تساعده فى خلوته على اداء واجبه الدينى وقد رؤيت معه وهو متأبط ذراعها فى اثناء تنزهاته في حديقة الدير وبعد ذلك مل من الاقامة هنالك واراد ان يسافر الى ديره الخاص فى بوكروفسكي فى سيبريا . ومن الغريب ان هذا الرجل الذى أعلن فحشه وكشف الستار عن خياناته فى مجلس الدوما قد قوبل فى سياحته هذه من عهد قيامه من بيتروغراد الي وصوله الي قريته فى سيبريا بمنتهى الحفاوة والاجلال وكانت يداه تقبلان فى كل مكان يحل فيه . وكان كلما دخل بيتا قبل فتياته الجميلات فى خدودهن النضيرة واما النساء الطاعنات فى السن او اللواتى تجردن من المحاسن فقد كان ينفر منهن ويدفعهن عنه . وبعد ان وصل الراهبان الي قرية راسبوتين

الموجودة فى سيبريا وصلت التلغراف تترى من القيصرة اليه باستقدامه على عجل الى بيتروغراد لأن نبؤته قد تحققت بالتدقيق فى الساعة التي حددها وهذ نص رسالة تلغرافية واردة اليه من القيصرة :

« لقد عاد نيككي ونحن الاثنين فى ضيقة قاتلة لأن كوفسمين (طبيب البلاط) لم يتمكن من تلطيف العله . فاحضر الينا على جناح السرعة أيها الاب المقدس وتكرم علينا بانقاذنا من هذه الحالة الخطرة . وامنح اختك المخلصة لك بركتك ورضاك . »

وبعد هذه الرسالة شفعها القيصر نفسه بالرسالة التالية المرسلة من قصر الشتاء بعد نصف ساعة من الرسالة الاولى وهذا نصها :

« اني أيها الصديق لا أستطيع ان آتي اليك ولكني ابتهل اليك إن تعود الينا في الحال فأننا فى حاجة اليك ولا بد لالكزيس من ان يلاق حتفه اذا لم تسارع اليه واذا لم تصر عضوا من بيت رومانوف . واني مرسل اليك القطار القيصري الذي سيتحرك بعد ساعة نيقولا »

فلم تحرك هذه الرساله الاخرى عاطفة الطرب فى نفس راسبوتين بل اقتصر على ان ناولها الى زميله هيليودور قائلا له:

— يظهر اذ القيصر قد سئم الوجود فهو يريد ان يتسلى بوجودى الى جانبه . على اني لا أدرى لماذا لا يدفع هذا السأم بذهابه الى الجبهة وتحريضه جنوده الشجعان على موالاة القتال بعزيمة صادقة للتمكن من طرد الاعداء المغيرين . وانى اعتقد انه كلما كثرت خسائرنا فى ساحات القتال كلما اقترب أوان الصلح . وانى شديد الشغف بأن لا تنتصر الرووسيا الجاهلة المستبدة في هذه الحرب المختصة بمسألة المدينة والانسانية

ثم تبسم بسمة تدل على الاحتقار والافتخار فى آن واحد.

وظل خمسة عشر يوما لا يلين قلبه للرسائل التلغرافية والبريدية المتوالية عليه حتي اذا كان اليوم الخامس عشر مساء قدم اليه أيفان رادزيك الخادم الخاص للقيصر ومعه كتاب مخصوص من القيصرة التي بلغ منها الحزن والجزع مبلغا لاحد له من جراء اشتداد وطأة المرض على ولي العهد الذى اخذت انا فيروبوفا توالى اعطاءه المركب التيبيتى المعهود فى

أوقات منتظمة : فلما استلم خطاب القيصرة وجد فيه ما يأتي :

« أيها الاب المقدس اني انتظرك بفارغ الصبر. وبوريس وفرديلك مقيمان معي الآن . وقد اصبحت الحالة اشد حرجا من قبل وهي آخذة في الازدياد تحرجا فأسرع بالحضور وبأبراء هذا الطفل المسكين الـكزيس واذا لم تتدركه لا يلبث ان يموت في اقرب وقت . أن الاطباء عاجزون عن مداواته . وقد وصلتني تعليمات مستعجلة ومهمة من برلين فيجب بمقتضي هذه التعليمات اخفاء آثار ميليكوف وكرنسكي ونيقولا . لقد اعد بوريس كل شيء فبحضورك تجد الوسائل متهيئة لديك . ومن الواجب أن يصيبهم مكروه في غضون ٤٨ ساعة . لقد سلم نيقولا الى نيكي كتابا فظيعاً مملوء بالتهديدات . والسفير البريطاني يعرف هذا الخطاب فينبغي مراقبة التلغرافات المرسلة الى لندره في هذا المساء . سأرسل اليك مركبتي لتنتظرك . واني لا ازال اقبل يديك العزيزتين .

اليك »

وعلى اثر ذلك سافر راسبوتين سريعا الى بيترغراد وامكنه أن يظهر من جديد في وسط المجتمع البتروغرادي

الفصل الحادي عشر

كيف يغشون الحلفاء

على اثر اتهام الدوما ستورمر بالتفريط في مصالح الروسيا. اضطر هـذا الوزير للتخلي عن رياسة الوزارة وبواسطة نفوذ القيصرة تعين في مركز في البلاط القيصري واصبح بهـذه الطريقة هو وفردريك العاملان الاساسيان في السياسة الرووسية بطريقة أعظم من الاول لان ستورمر لم يعد مجبراً على مراعاة منصبه من الوجهة الرسمية كما كان يعمل من قبل.

وبناء على تنحى ستورمر عن رياسة الوزارة عين القيصر تريبوف الذى اوعز اليه بأن يهـدىء الافكار الثائرة وأن يغرر بالحلفاء فوقف في الدوما مصرحاً بما يأتي : —

— اننا لن نقبل ابداً صلحا غير ناضج ولا صلحا منفرداً . وسنلبث ثابتين كالاطواد على عزمنا هـذا الذى يعبر عن إرادة مولي الروسيا العظيم . تلك الارادة التي لا تتزعزع ولا تتأثر والتي هى الـكلمة الصادقـة المعبرة عن شعور

رعاياه الأوفياء .

وما كاد راسبوتين وعصابته يقرأون هذه التصريحات حتى اخذوا يهزأون بها ويتضاحكون عليها لعلمهم بأنها ستضع حجابا كثيفا على اعين الحلفاء المغرورين وما هى الا سياسية محكمة الدهاء وبالغة في التأثير على عقول البسطاء

وفى نفس هذا اليوم الذى امتلأت فيه جوانب الدوما بهذا التصريح استلم راسبوتين تلغرافا رمزيا عن طريق استوكهلم من برلين وهذا نصه :

« جريجرسن (هوعامل الماني مشهور جدا ساعد الفون پابين فى امريكا مساعدة فعاله) سيصل بوجه الاحتمال الى اركنجل على نقالة مملوءة بالذخائر قادمة من امريكا وستكون اخباره عندكم فى الحال . فليشمله ب برعايته . وسيحضر لكم اربع علب فلا تفتحوها بل ضموها باحتراس في مكان امين ثم اوصلوها الي صديقنا ر (هو العلامة روجوفتش السماروى البكتريولوجى وصديق راسبوتين) ذرة ٧٠ »

وبالفعل وصلت انباء جريجرسن الى راسبوتين في اليوم

الثاني اذ وصلت الباخرة التي تحمل الذخائر الى ثغر اركنجل وما كادت تستقر به حتى انفجرت واختفت في قاع البحر مغرقة معها تلك الذخائر الهائلة ومسببة قتل ١٨٠٠ نفس. وفي نفس هذا المساء وصل جريجرسن الى بيت راسبوتين الكائن في حي الجوروخوفايا حيث تقابل هنالك مع بروتو بوبوف الذي قدم له أوراقا شخصية مزورة وضمت عليها صورته الفوتوغرافية وختمت وصار التأشير عليها

واستلم راسبوتين من الجاسوس الالماني العلب الاربع ثم سلمها الى العلامة البكتربولوجي : وهذه العلب تحتوى على جراثيم بعض الامراض القتالة المعدية غير ان العلامة روجوفتش لم يكن عالما بشدة خطر هذه الادران ففتحها بغير تحوط ليختبرها وليفكر في الطرق التى سيعمم نشرها بها فأصيب في الحال بهذه الامراض الصاعقة ومات بعد آلام تشيب لهولها الرؤوس . وكان هذا الموت سببا في انقاذ الروسيا من هلاك عام كان لابد من انتشاره في كافة انحائها لأن راسبوتين ورجوفتش هما اللذان اقترحا ارسال هذه الجراثيم لتلقيح الفيران بها وتفريقها في بادئ الامر في موسكو

وبعض المدن الاخرى العظيمة .

ولقد علم القيصر هذه المسألة وسخط أشد السخط لتمكن المانيا من ادخال هذه المهلكات في بلاده بدون أن تتمكن الحكومة الروسية من منعها وبدون أن يتوصل البلاط القيصري الى العلم بها قبل قرب انتشارها ومع ذلك فلم يكن يظن أن مرشده وواعظه وأباه وصديقه الحميم له ضلع في هذه المؤامرة أو بالاحرى انه اليد العاملة فيها

وفي الحقيقة ان تاريخ حياة نيقولا الثاني قبل الحرب يجعل الانسان لا يستغرب من تسلط هذا الراهب الدجال عليه الى حد أن لا يصدق عنه أي وشاية ولا يعتقد فيه الا الخير . اذ من المعلوم أن القيصر كان قبل الحرب يقضي أغلب أوقاته منعزلا في تارسيكوى تسلو منهمكا في العبادة واذا أراد أن يعمل لا يجعل لاحد رأيا في جانب رأيه ولكن فكره كان بسيطا ومحدودا وكانت رغبته تتجه بشدة الى مشاهدة أعمال المنومين بالمغناطيسية وكان يبتهج جدا برؤية الموائد المتحركة فكان كل نصاب ومحتال من ذوي الالعاب الكيماوية الذين يغررون بعقول المتفرجين عليهم يقصدونه من اقاصي

الجهات ويحظون بشرف المثول بين يدي جلالته ليعرضوا عليه العابهم المدهشة وخيلهم المبتدعة فيصيبون رضاه عنهم وسروره بهم واجذاله العطاء لهم بل كان أحيانا ينعم عليهم بالاوسمة اللامعة والالقاب الفخمة فاذا كان هذا استعداده قبل الحرب فكيف لايتغلب على عقله هذا الراهب الدجال ذو القوة المغناطيسية الهائلة ولاسيما بعد ما أبرأ له ولي عهده ثم والى أمراضه وابراءه مرارا عديدة . ولا غرابة اذا ما استولى هذا المحتال على ليه وتصرف به وبالمملكة الروسية بأسرها داخلا وخارجا كما يشاء

وفي هذه الاثناء العصيبة من عام ١٩١٦ التى صارت فيها المدينة مهددة باعظم خطر كانت روسيا الحليفة العظيمة التي يعتقد الحلفاء انها الركن الركين لهم تحت تصرف امبراطور المانيا بواسطة ذلك الراهب الجرئ الذي لم يعد يبالي بأى خطر ولا يرهب جانب أي شخص أو أية جمعية سرية . ومع ذلك فقد كان الحلفاء سواء افي دوننج ستريت أم في كيه دورسيه (أي وزارتي خارجية انجلترا وفرنسا) أم في غيرهما يعتقدون ان القيصر هو الذي يتصرف بمحض ارادته في

شؤون أمته ومملكته وان ذلك الراهب الفاسق ليس سوى ملهاة للقيصر وانه لايعرف سوى شرب الفودكا أو الشاي كأمثاله من المضحكين الذين يوجدون بكثرة في كل حواشي الملوك والامراء . وعلى ذلك فقد استمر ارسال الاسلحة والذخائر بكثرة الى الروسيا العظيمة على أمل أن تتغلب على أعدائها الاشداء والحلفاء لايعرفون ان هذه الأسلحة والذخائر اما أن تستقر في قاع البحر واما أن تتحول غنيمة باردة الى العنصر الجرماني

واذا كنا نلتمس عذراً للقيصر في انه شغوف بفطرته الى المسائل المغناطيسية فلا ندري أي علة نلتمسها للقيصرة سوى انها تريد اسلام روسيا الى مواطنيها الاصليين

واذا رجعنا الى تاريخ حياة هذه القيصرة نجده في الاول كان فاتحة خير وسعادة فانها لم تكن كسائر الملكات والاميرات اللواتي عملان حاشياتهن بضروب الدعارة والشذوذ عن الآداب بل عمدت الى استئصال شأفة النساء ذوات السمعة السيئة من حاشيتها وانتقت كل واحدة شريفة المنبت طاهرة الذيل وحافظت هي نفسها على مكارم الاخلاق غير انها لم تلبث ان

أصبحت بمقتضى التطورات السياسية وحوادث الارهاب التي تمددت تخشى على زوجها وعلى أطفالها وعلى نفسها فحملها هذا التخوف على أن تفتح اذنيها للسعايات والوشايات فاختلط الصالح بالطالح في حاشيتها وأصبحت بؤرة للشر والفساد. وزادها اختلالا دخول هذا الراهب المحتال فيها

واذا كانت تصرفات راسبوتين السرية قد بقيت خافية عن الحلفاء حتى فيما بعد أن فضحها ذلك النائب البولوني في الدوما فانها لم تعد قابلة للاستتار أكثر من هـذا العهد لان هذه الجمعية الوطنية الصغيرة التي رأسها الجرائد وقون الثلاثة أخـذت تسعي بكل الطرق لفضح هذا الجاسوس الالمانى الذي يسعى لضياع روسيا. وبعد مضي ثلاثين يوما من تلك الخطبة الشهيرة التي القيت في الدوما نشرت جريدة المـاتان الفرنسية لاول مرة تفاصيل هامة عن هذه الجلسة التاريخية وعن هذا الراهب الرهيب

ومن أوائل ديسمبر ١٩١٦ ابتدأت هذه الجمعية الوطنية الصغيرة تسعى في القضاء على حياة راسبوتين غير مدخرة جهداً للوصول الى هذه الغاية التي اذا توصلت اليها تلك الجمعية فقد

أنقذت وطنها من الاغارة الالمانية التي كادت تستغرق أهم البقاع الروسية الحافلة بالعمار

كل هذا وسواه يتتابع والقيصر لايتأثر ولا يهتم ولا ينظر الى العوقب الابالعين المجردة . واذا كنا قد أخليناه من مسئولية ما يقع من الحوادث السياسية العامة في الداخل والخارج فانه لايخلو من المسئولية فيما حدث من العبث بمبدأ القضاء العادل فى كثير من القضايا التي كان لصوته الامر الذي لامرد له فيها . وقد بلغ من جمود الشعور انه حينما بلغه حادثة فودينسكا التي ذهبت فيها أرواح الفين من رعاياه وهو اذ ذاك في الحفلة الراقصة التي أقامها سفير فرنسا لم يزد على أن استمر فى رقصه غير متأثر بالمرة وكذلك كان شأنه من قبل حينما بلغه تدمير اسطوله فى واقعة تسوشيما البحرية وكان اذ ذاك يلعب بالكرة لعبة التنس فمضى فى لعبه كانه لم يسمع خبرا هاما كهذا

وقد احار الناس فى هذه العاطفة ولم يدروا هل هي استخفاف بالاخطار والمصائب أم هي قوة كامنة فى النفس خارجة عن حد الوصف والتعبير . أما الحقيقة فهي أن القيصر

لم يكن يهتم الا بابعاد الخطر عنه تاركا لغيره اخراج الكاستانا (ابو فروه) من النار . وهـذا ما جعل راسبوتين وعصابته ينتهزون هـذه الفرصة ويستخدمونه فى أغراضهم بواسطة زوجته الكزاندرا فيودوروفنا

وفى أوائل ديسمبر ١٩١٦ استولت على الاسرة المالكة الروسية عوامل اضطراب شديد فارسلت القيصرة الى موسكو حيث يقيم زوجها تلغرافا خصوصيا هذا نصه :

« تسارسيكو يسلو فى ٨ ديسمبر الساعه ١١ والدقيقه ٣٠ صباحا

لقد أخبرنى جريجوار أن زاكومنسكي قدم طلبا بقصد اتهامة غدا امام مجلس القيصرية . فيجب منع هذا العمل كيفما كانت النتيجة . بوريس وفردريك متفقان على هذا الامر ولم يبق عليكم الا الامر بموجبه أليك » .

فأجابها على الفور بما يأتي :

« موسكو في ٨ ديسمبر الساعة ١٠ مساء

اني أوافق على انه غير مستحسن تعرض .ز. الي ما يريده من التشهير ولكني لا أدري كيف يمكن منعه من التكلم اللهم الا بالقاء القبض عليه . واني سأتخابر الآن مع بعض الدوائر .

ذات الشأن . وسأعود غداً ؟ نيكي »

ويظهر ان مسعى القيصر لم يتكلل بالنجاح لان طلب البارون مللرزا كوميلسكي تقدم أثناء اجتماع مجلس المملكة محبذاً به العمل على تقويض دعائم القوى الهادمة لكيان الدولة كما طالب المسيو تريكوف في الدوما ولكن الطريقة التي اختارها لتنفيذ اقتراحه كانت عقيمة . فكان المسعى الوحيد الذي يمكن أن يؤدي الى الغرض المقصود هو اتحاد الدوما ومجلس المملكة في دعوة الحكومة الى الانضمام اليهما بقصد كشف الستار عن مخبآت ذلك النفوذ السري المشؤوم وتقديم صاحبه الى المحاكمة وكانت الروسيا كلها تنتظر معرفة ماستحدثه تلك المصيبة الهائلة التي تندفع بسرعة وقوة نحو الحكومة .

وأخذ هذا المشروع يتحقق شيئاً فشيئاً ولكن كثيرات من مريدات راسبوتين أخذن يحذرن من عواقب ماسيحدث . ومن ذلك إن أرسلت اليه البارونة ميزيانتزوف امرأة حاجب القيصر وأحد مستشاري الحكومة الخطاب الآتي الذي بلغه في مساء تلك الليلة وهو جالس مع

ستورمر رئيس الوزارة السابق وهذا نصه :

« أيها الاب المقدس لقد كنت مع أنا والجراندوقة أولغا منذ ساعة وقد أخبرتهما بأن ينبها القيصرة إلى وجود مؤامرة خطرة جداً ضد حياتك . فكن على حذر من يوسوبوف ومن الجراندوق ديمتري فانهما قد أقسما على اعدامك . وقد تناول بوليشكيفتش الذي تزعم انه صديقك طعام العشاء معي هذا المساء وعلمت منه هو أيضاً بأنهم يتمالئون على اهلاكك . ونحن جميعاً نصلي ونبتهل الى الله بأن لايصل اليك أقل ضرر ولكني أرسل اليك هذه الورقة لتحتاط لنفسك . سأحضر غداً الاجتماع الذى سيعقده الاخوات وانتظر أن أخاطبك على حدة بيني وبينك في خلاله وتوجد فتاة اسمها نجده بولديف ابنة القائد بولدييف الموجود في كييف ترغب أن تكون من مريداتك فسأحضرها معي . أستحلفك أن تكون يقظا وأن تتجنب كل احتكاك بالشخصين اللذين ذكرتهما لك ؟ أختك

فيو »

فناول راسبوتين هذا الخطاب الى ستورمر قائلا :

ـــ أأعداء ! ولماذا هؤلاء النسوة الحمقاوات شديدات الرغبة في تحذيري على الدوام ؟ انى أستطيع أن أتخذ الحيطات اللازمة للدفاع عن نفسي فاني الشخص الذى يدير المملكة الروسية ـ بأوامر الامبراطور غليوم ! وما القيصر الا قيصر بالاسم وأما الامبراطور الفعال فهو أناجر بجوار الراهب !

فقال له ستورمر :

ـــ ولكن بورسكيفتس خطر لانه أشد أعضاء حزب اليمين المتطرف تهوراً وقد وصلت أخيراً الى صديقنا بروتوبوبوف عدة تقارير سرية في البوليس السرى عن حركات وأقوال هذا الشخص

ـــ واذا كان الامر كذلك فلماذا لا يلقيه في السجن ؟ ان بروتوبوبوف كثير التردد فقد كانت تكفي عدة مستندات توضع في بيته خفية لاتهامه والقبض عليه بكلمة واحدة من القيصر غير ان صديقنا ضعيف الارادة جداً وهو يحب أن يساير الرأى العام كثيراً . وما معنى هذه المسايرة ؟ انى أمقتها.

ـــ وكيف تمقتها وأنت حكيم الشعب وطبيبه وخلاصة

آمال الطبقة العاملة فيه فأنت اليوم مثل الاب جابون في الزمن السابق !

ـــ نعم انا جريشكا الشعب . حقيقة انني محبوبه ياعزيزي بوريس وليس للشعب سوى قيصر واحد وهو أنا !

واذا كان راسبوتين لم يأبه بالتحذيرات التي تتابعت عليه من مريداته وأشياعه فان القيصرة كانت على العكس خائفة عليه أشد الخوف . واذ كانت قد سافرت الى جاتشينا لزيارة أم القيصر فانها لم تتأخر عن ارسال التلغراف الآتي اليه من هناك :

« ان خطراً عظيما يتهددك فان الام پولا رئيسة دير نوفو ديفيتسكي ذكرت بعض أمور مهمة . فاحضر حالا الى تسارسكوى سيلو . فان نيكي شديد الرغبة في استشارتك في مسائل عظيمة الشأن ؟

ا »

وهذا التلغراف أفهم راسبوتين انه لا يزال ذا نفوذ لدى الاسرة القيصرية مع أن انافيروبوفا كانت أخبرته منذ أسابيع قليلة أن نفوذه في هذه الاسرة قد قل عن الاول

كثيرا . على انه فى الحقيقة كان قليل الاهتمام فى الايام الاخيرة بهذا النفوذ بالنظر لاحتواء خزانته الحديدية على مستندات هائلة لو باعها لحصل على ثروة طائلة تجعله يعيش عيشة الملوك بل أعظم . ومع ذلك فهو لم يكن فى هذه الآونة فى احتياج الى اتخاذ هـذه الوسيلة لان الاموال الالمانية كانت تتدفق حوله من سائر الجهات كما كانت فائضة بالمثل على الخنادق الروسية فى ساحات القتال . وقد أصبح بطل الروسيا العظيم بروسيلوف نفسه صاحب الانتصارات الهائلة غارقا فى هذه اللجج الا انه من باب الاحتياط كان يتظاهر بانه مخلص فى دفاعه عن أمته وقيصره ولهذا استمر يتقدم قدما ويتأخر عشرا

وعلى أثر وصول تلغراف القيصرة اليه وتلغراف آخر من الجراندوقة اولغا أسرع بالذهاب الى القصر حيث تحادث مدة طويلة مع القيصرة . ثم خرج من القصر مصحوبا بأنا ڤيوروبوفا وركبا مركبة قيصرية من المركبات التي تحت طلبه فى أي وقت وانطلقا الى بيته لعقد مجتمع المريدات حيث كانت البارونة ميزنتزوف قد أرسلت اليه صورة نجدة الفوتوغرافية .

وعلى الرغم من حرج المركز فقد عقد راسبوتين اجتماعه المعتاد فى بيته وانضمت اليه نجدة بولديبف الحسناء الآخذة بمجامع الالباب

كل هذا يحدث فى مملكة القياصرة والحلفاء لاعلم لهم بشىء منه مطلقا لان بروتوبوبوف وزير الداخلية وضع يده الثقيلة رقيبة على التلغرافات الصادرة الى الخارج والواردة منه

الفصل الثاني عشر

تفصيل مصرع راسبوتين

أخذت الحوادث تتابع سراعا . ولقد تجرأ الجراندوق نيقولا ميخايلوفتش على أن يطلب مقابلة خصوصية من القيصر قدم له فى أثنائها مذكرة خاصة مملوءة بعبارات الاحتجاج وقد وجه الخطاب فى هذه المذكرة الى القيصر قائلا له :

« ماهو منبع كل البلاء ؟ دعنى أوضحه لك فى كلمات وجيزة طالما لاتعرف طريقة لاختيارك الوزراء الا تلك الطريقة المعروفة

لدى الدوائر الخصوصية فأن الاعمال تظل سائرة مابين حسن وسيىء ولكن من الوقت الذى اصبحت فيه هذه الطرق غير مجهولة بتاتامن عامة الشعب ولغطت بها سائر الالسن فى جميع الطبقات الروسية فقد صار مما لامعنى له الاستمرار على ادارة شئون البلاد بتلك الطريقة المعهودة. اولم تردد على كثيرا انك لا تستطيع ان تثق بأنسان لانهم يخدعونك على الدوام ؟ فاذا كان الامر كذلك فأن هـذا الايضاح ينطبق بنوع خاص على زوجتك التي تحبك ولكنها من جهة اخرى تدفعك إلى الخطأ والشطط . وما ذلك الا لانها محفوفة بفئة من الاخصاء ذوي المقاصد السيئة . انك تثق بالكسندرا فيودوروفنا وهذا امر طبيعي ولكن الالفاظ التى تنطق بها هي نتيجة الاختراعات المحكمة البعيدة عن الحقيقة . فاذا كنت عاجزا عن انتزاعها من هذه التأثيرات فلتحذر على الاقل شر المناورات الدائمة والمنتظمة التى يقوم بها دساسون يتخذون زوجتك آلة لهم .... فاذا استطعت ان تستأصل شأفـة تلك القوى الخفية فأنك تكون قد عملت فى الحال على تجديد نشأة الروسيا واجتذبت اليك ثقة السواد الاعظم من شعبك الذى تخليت عنه »

فكان قوله هذا الصراحة المنشودة ومن جهة أخري فان هذا الجراندوق استدرج فى اثناء الحديث مع القيصر الى ذكر بروتوبوبوف فسأله عما اذا كان يعلم ان هذا الرجل السيلسي صار انتخابه بواسطة راسوتين الذى التقى به لأول مرة عند النصاب بادمانيف الذى يصنع فى السر الادوية التيبيتية والذي يقدم منها للمقدس كل التراكيب التي يريدها

فتبسم القيصر وصرح للجراندوق بأنه يعرف كل هذه الامور من قبل

ثم اخذ القيصر هذه المذكرة الى القيصرة واخذ يتلوها عليها بصوت عال . وعندما بلغ الجملة المختصة بالتأثيرات المشؤمة التى تحيط به استولت عليها هزة من الهياج والانفعال وانتزعت الورقة من يديه ومزقتها فى وجهه .

وفى اثناء هذه الاوقات كانت العصابة لاتزال مستمرة على التآمر لأجل اسقاط الروسيا واغواء خلف ستورمر فى رياسة الوزارة .

وانتشرت فجأة فى ٢٦ ديسمبر اشاعات عن اختفاء راسبوتين القت الهرج والمرج فى آن واحد ما بين دوائر

بيتروغرا د العامة واروقة قصر تارسكويسلو .

وفي الحقيقة ان غيابه عن هذه العاصمة لم يكن مدهشا في حد نفسه فقد اعتاد على كثرة الزيارات للاماكن المقدسة كما كان يزعم . الا ان الاشاعة التي كانت تتداولها الالسنة في هذه المره كانت مقرونة بحدوث شيء غير منتظر لذلك الرهب

وكان قصر تسارسكوي سيلو شديد الارتياع لهذه الاشاعات التى انتشرت في العاصمة بسرعة البرق . واشتد قلق القيصرة وجزعها واخذت تبث جواسيسها لتلقط الانباء والوقوف على الحقائق فلم تصل من ذلك الى نتيجة تزيل قلقها . فارسلت التلغراف التالى الي القيصر :

« تسارسكوى سيلو فى ٢٦ ديسمبر

انى قلقة من كل هذه الاشاعات الرائجة . ولم اتوفق الى الحصول على تفصيل كاف . تذكر ما كتبت لك بشأنه .

أليك »

وعلي اثر ذلك اخذت توالى مباحثها السرية عن راهبها المحبوب على غير طائلة واخيرا ساورتها الهواجيس الى درجة هائلة فلم تعد تطيق صبرا على تلك الحالة فارسلت إلى القيصر

بعد أربعة أيام التلغراف الآتي :

« تسارسيكوى سيلو فى ٣٠ ديسمبر الساعة ٤ والدقيقة ٣٧ مساء

ألا تستطيع أن ترسل لي فوى وايبوف فى الحال ؟ انى فى حاجة الى مساعدته والى نصائحه . لانزال نرتجي خيرا . أن دمترى وفيلكس تقع عليهما شبهة فى المسألة

أليك »

وبعد ست ساعات تقريبا أرسلت التلغراف الآتى :

« تسارسيكوي سيلو فى ٣٠ ديسمبر الساعة ١٠ والدقيقة ٢٤ مساء

لم يصر اكتشاف شيء الى الآن . وقد قبض على فيلكس وهو سائر الى القرم . فما أشد رغبتى فى حضورك

أليك »

وقد أخذت الحقائق تنكشف للقيصرة وعلمت بعد طول البحث والتفتيش أنه غير موجود فى الاماكن التى اعتاد التواجد فيها والذهاب اليها فداخلها اليأس وكتبت الى القيصر فى منتصف ذلك الليل التلغراف الآتى :

« تسارسكوى سيلو فى ٣٠ ديسمبر الساعة ١١ والدقيقة ٤٧ مساء

أن الاب (راسبوتين) غير موجود بالمرة فعاقب اعداء الروسيا واعداء بيتنا . وعد الى على جناح السرعة فأنى لا اريد غيابك عنى »

وفي الوقت نفسه ارسلت تلغرافا آخر إلى الأب ما كارينو فى دير ڤيرخوتورسكي فى يرم :

٣٠ ديسمبر منتصف الليل

«لقد ألم بنا مصاب عظيم . فقد أصابت الاب كارثة فصل لاجله ولاجلنا . ان الذين ستقع عليهم المسئولية سيلاقون الجزاء الاوفى . فاحضر الينا على جناح السرعة

الكسندره »

وأقبل القيصر من جبهة القتال واتضحت الحقيقة للاسرة المالكة فصدر أمر القيصر باخفاء الحقائق عن الجمهور فاتخذ برتوبوبوف أعظم الوسائل لعدم انتشار هذه الانباء سواء فى الداخل أم فى الخارج . وعلى ذلك بقيت الحقائق مستورة حتى عن الصحف التي أخذت تنشر خرافات فى منتهى الغرابة

عن راسبوتين

وهذه هي المعلومات التى ذكرتها إحدى الروسيات التي وجدت أخيراً فى لندره وكانت شاهدعيان لمصرع راسبوتين ولم تشأ أن تبوح باسمها لانها كانت لاتزال عازمة على الاياب الى الروسيا ومما لاشك فيه ان حزب راسبوتين لايزال قويا في الروسيا وذا شأن عظيم على الرغم من فقد زعيمه

في ١٥ ديسمبر (بالحساب الروسي) دعي راسبوتين إلى تناول العشاء لدى الامير يوسوبوف اذ ستعد له مأدبة فاخرة حافلة بأنواع الطرب .

وبما ان هذا الراهب كان ذا ميل خاص الى الوجوه الجميلة والى الحوادث اللذيذة فقد أخبر سراً بأن سيدة حسناء أرادت أن تحفظ اسمها فى طي الخفاء لها رغبة شديدة فى التعرف به .

وكان بيت هذا الامير موجوداً في حي ماي فير وكان له كذلك بيت آخر في الحي نفسه يمتد من المارسكايا الى الاوفيد زرسكايا . وكان لهذا البيت باب من الخلف تباع فيه أنبذة القرم الشهيرة كما كان يباع النبيذ في قصور فلورنسا في

الاعصر الوسطى

وتم الاتفاق على أن الامير هو الذي يستقبل مدعوه من غير أن يكون معهما أحد آخر سوى تلك الشابة الحسناء الخفية التي تريد أن تنضم الى مريدات الاب المقدس .

وفي الحقيقة كان عـدة أشخاص مجتمعين في قاعة من الدور الاول وهم مصممون على انفاذ روسيا من هذا الخائن الفاسق الذي يكاد يسلمها الى أيدي الالمان . وهؤلاء الاشخاص كانوا هم الامير يوسوبوف والجراندوق ديمتري (الذي تشتبه فيه القيصرة) والنائب في حزب اليمين الاقصى من الدوما بوريشكيفتش ورجل اسمه ستيبانوف ورقاصة شهيرة (وهي المرأة الخفية التي اتخذ وجودها محرضاً لشهوة راسبوتين) والمـرأة التي سردت هـذه الحوادث حسبما نذكرها الآن .

ودقت الساعة الحادية عشرة فكان الموقف رهيبا لان كل الحـاضرين غشيتهم الحمى من شدة القلق والاضطراب وهم ينتظرون قدوم راسبوتين الا أنه لم يجئ .

فأسرع البرنس الى التلفون وسال عن الراهب في

بيته فأجيب بأن الاب خرج من مدة لتناول طعام العشاء في المدينة فأخذوا يتساءلون فيما بينهم: هل يأتي؟ وهل يسقط في الفخ الذي نصب له بمهارة واحكام؟ وأخذت اللحظات تمتد بالنسبة لهم حتى كأنها ساعات وبدأ يخامرهم الشك في أمر قدومه حاسبين أنه قد علم في الساعة الاخيرة بما دبروه له من المكيدة بأنهم يعلمون أن صديقه وصنيعته بروتوبوبوف وزير الداخلية ناشرا جواسيسه في كل مكان ليلتقطوا له أخبار المؤامرات كلها ولا سيما ما اختص منها براسبوتين

وأخيراً صارت الساعة ١١ والدقيقة ٢٠ واذا باتوموبيل وقف فجأة عند الباب وانفتح بابه لدى باب البيت الكائن من جهة الاوفيتزرسكايا ونزل الراهب فادخل بطريقة سرية بمعرفة داعيه. فخلع معطفه الكبير المبطن بالحرير وانكشف ثوبه الاسود وظهر الصليب العظيم الذهبي المرصع بكرائم الاحجار متدلياً على صدره. وكان الجليد يتساقط قطعاً كبيرة في الخارج.

وأخذ الامير بيد ضيفه متمشياً به حتي أدخله في قاعة الطعام التي كانت قد أعدت لهذه المقابلة خاصة وبعد أن

أجلسه فى صدر المائدة قال له .

ــ لا يكن عندك أقل خوف يا أبى فاننا منفردون ومن جهة ستيبانوف فانه صديقى وليس بغريب عنا بل هو بالتأكيد واحد منا ثم أخذ يلاطفه ويبتسم له وينعشه وفى الحال تقدم الى راسبوتين ذلك الرجل الذي أشار اليه البرنس فى حديثه وهو طويل القامة ذو لحية حمراء وسلم عليه هذا الرجل هو پول ستيبانوف .

وكان على المائدة زجاجتان من النبيذ احداهما محتوية على سيانور البوتسيوم الذي جربت قوة مفعوله منذ ساعة فى كلب لا يزال جسده مطروحا فى فناء البيت

بعد أن قدم صاحب البيت ستيبانوف لراسبوتين قال له بلهجة مطمئنة :

ــ لا تقلق أيها الاب المقدس فان المرأة التي جرى الكلام عنها لم تصل الى الآن وانى ذاهب لانتظارها لدى الباب حتى لا نقلق الخدم ولا نجعلهم يتداخلون فى شئوننا .

وترك الاب مع ذلك الرجل البشوش الذي حسبه خليعا ما جنا مثله .

ودار الكلام بين الرجلين على التنويم المغناطيسي الذي، صرح ستيبيانوف بأنه من أشد الناس اعتقادا به . وبعد مضي مدة وجيزة فى الحديث ملأ الكاسين الموجودين أمامهما فوضع في كاس راسبوتين من السائل الموجود فى الزجاجة المسمومة. ووضع لنفسه من الاخرى وأنجز هذا العمل بخفة ومهارة وهو يشغل نظر راسبوتين بلوحة رسم موجودة فى الطرف الآخر من القاعة .

ورفع كلاهما قدحه وشرب مافيه وكانت توجد علبة على مقربة منهما فيها بسكويت جاف فتناول راسبوتين بعضاً من هذا البسكويت وأكله

فاعترى ستيبيانوف ذهول ودهش عظيمان لان السم لم يكن له أقل تأثير فى راسبوتين . وجال فى نفسه السؤال الآتي : هل هذا الرجل محمي بالقوة الالهية أو بشيء خفي ؟ وأخذ يترقب من آونة الى أخرى أن تبدو على الرجل علائم التألم أو تأخذه سكرة الموت . ولكن كان الامر على العكس، فقد بقي حافظا هدوءه واستمر على استفهامه عن المرأة التي جاء ليقابلها .

ثم اعترى راسبوتين فجأة قليل من الاصفرار وصاح قائلا :

— هذا أمر عجيب انني لا أجدني مرتاحا كما ينبغي

ثم نهض من مكانه واجتاز القاعة حتى وصل الى طرفها الآخر أمام تمثال المسيح مصلوباً وهو تمثال مرصع بالاحجار الكريمة . فأخذه بين يديه متأملا فيه . فاعترى ستيبانوف ذهول من قدرة هذا الراهب على تناول مقدار عظيم من أنواع السموم بدون أن يسقط صريعاً على الارض. واقترب ستيبانوف من راسبوتين وأخذ يتأمل هو أيضا في الصورة التي بين يديه .

وكان البرنس يوسوبوف ورفاقه المتآمرون على قتل راسبوتين قد طال انتظارهم فى الدور الاول وبدأ الشك يدخل فى قلوبهم لان ستيبانوف لم يجىء اليهم مبشراً بموت عدوهم الألد وأخذوا يقتربون من أرض قاعتهم الكائنة فوق قاعة المائدة متسمعين وقد أخذوا يتساءلون فيما بينهم بهذا السؤال: « ما الذى حدث فى الطابق الارضى ؟ » وبعد قليل سمعوا صوت الراهب وهو يقول لجليسه :

— لقد انتهى الالم الذى اعترانى .

فدهش القوم عند سماعهم صوت الراهب وأخذوا يتساءلون اذا كان هذا الرجل في خرز مشيع من تأثير السم فيه! ونظر بعضهم الى بعض بذهول واضطراب ، وقد بدأ دبيب الخوف يدب في قلوبهم .

وفي الحقيقة أن راسبوتين قد شرب كفايته من الخمر قبل مجيئه الى بيت الامير يوسوبوف ، ولم يشأ أن يكثر من الشراب هنا حتى لايغيب عن الصواب فيتمكن من رؤية مريدته الجديدة وهو في وعيه وحتى يكون في مأمن مما يمكن أن يدبره له اعداؤه . فلما ملأ ستيبانوف الكاسين تناول راسبوتين جرعة صغيرة فلما استنكر طعم الشراب اسرع بانزال القدح عن فمه وصب مافيه خلسة في وعاء من الفخار الصيني موجود بجانبه دون أن يجعل مجالسه يشعر بعمله . وهكذا نجا هذا الرجل العجيب من غائلة السم . ولو استمر على هذه المهارة والحكمة لتخلص الى النهاية من أعدائه والمتآمرين على اهلاكه .

وفكر ستيبانوف قليلا في هذا الموقف فخشي أن يفلت الراهب من كفه أو تسنح له فرص تساعده على التخلص من

الهلاك فرأي أن يغتنم هذه الفرصة ويقضي على حياته بطريقة أخرى مادام قد نجا من الموت بطريقة السم . وعلى هذا بادر باخراج مسدس ضخم من طراز براونيج ووضعه تحت ابط الراهب واطلق رصاصة منه على رئته .

فحينما سمع المتآمرون الموجودون في الدور الاول دوي الرصاصة اسرعوا جميعا الى الطنف (البلكون) ليروا ماذا حدث وفدقت قلوبهم بشدة . وفي خلال ذلك كان ستيبانوف قد ارتقى درجات السلم مسرعا ليقابلهم ويخبرهم بجلية الامر حتى اذا ماوصل اليهم صاح قائلا :

ـ لقد مات القديس أخيراً ! والآن أصبحت الروسيا حرة من هذا الرقيع الفاجر !

فعلا هتاف الابتهاج والحبور من أفواه أصدقاء ستيبانوف وأخذ يهنىء بعضهم بعضا من تخلصهم من ذلك الدجال الذي ضحك على عقول الروسيين مدة طويلة وهو يوهمهم أنه منقذ الروسيا وأبو الشعب ومحرره من الظلم والاستبداد . ثم دخلوا الى القاعة ليشربوا نخب تحرير الروسيا وتجديد نهضتها ورقيها .

الا أنهم ما كادوا يقرعون الكاسات سمعوا اجلبة فى الطبقة الارضية فتراكضوا جميعا الى البلكون ليتبينوا الحقيقة ويقفوا على مصدر هذا الصوت فى جنح الليل الهادىء بعد قتل ذلك القديس ومع تساقط الجليد فى الخارج وهو أمر يدعو الى انقطاع المارة من السير في هذه الجهة . واذا بهم يرون وهم فى أشد الفزع والاضطراب باب قاعة المائدة ينفتح وراسبوتين يخرج منه وهو ملوث بالدم وهيأته تشبه الوحش الكاسر ثم رأوه يمضي نحو باب البيت الخارجى وجسمه يهتز ورجلاه مضطربتان وقصده أن يخرج ويلوذ باذيال الفرار . فاستولى الرعب على جميع الموجودين فى الشرفة وتأهب عقولهم ولم يدروا ماذا يصنعون لان الموقف صار في منتهى الحرج اذ كل محاولته ترمى الى اعدام هذا الراهب كان نصيبها الفشل فالسم لم يؤثر فيه والرصاص الذى اخترق صدره على حسب مايتصورون لم يقض على حياته . فيحق لهم اذن أن يتساءلوا عما اذا كان هذا الرجل حاصلا فى الواقع على قوة خارقة للمادة ؟ ولا غرابة فى ذلك فان عامة الشعوب اذا رأت أشياء لاتستطيع أن تعلل حدوثها تنسبها الى المعجزات وخوارق

العادات وبالاخص اذا كان الشعب متمسكا بالعقائد الدينية أو اذا كان الجهل متحكما فيه كالشعب الروسي الذي جمع الصفتين والذى لايتجاوز المتعلمون فيه عشرة فى المائة من مجموعه

ولما شعر راسبوتين بوجودهم في الطنف وانهم ينظرون اليه رفع بصره اليهم وقال لهم :

ــ لقد حاولتم بكل ماوسعكم من حيلة وقوة أن تخمدوا أنفاسي . ولكني على الرغم من كل مجهوداتكم لاأزال على قيد الحياة . نعم لاأزال حيا وسيمكنني الله من الانتقام .

ثم وجه اليهم نظرة إستخفاف وضحك ضحكة عالية وهو واضع يديه على جرحه الذي يقطر دما فارتاع المتآمرون وارتجفت اعضاؤهم ولم يدروا ماذا تكون عاقبة امرهم اذا خرج سليما من هذا المكان وشرع فى الانتقام منهم واحدا فواحدا ولاسيما بعد أن تثبت من اشخاصهم . ولكنهم جمدوا فى أماكنهم فوق البلكون ولم يستطع ان يتحرك احد منهم

وأخيرا تغلبت الشجاعة وقوة الارادة على شخص واحد منهم وهو الفدائى الوطني الجرىء ستيبانوف الذي رأى أن

عمله كاد يخفق وان الروسيا تكاد تعود الى الذل والاستعباد تحت سلطة هـذا الفاسق الخائن الدجال المتغلب على عقول النساء وعلى عقول سائر العمال فشق على نفسه أن يترك عمله ناقصا فتناول مسدسه فى يده ولعبت فى رأسه نخوة الابطال الذين لايحجمون عن جلائل الاعمال وانحدر بسرعة البرق من السلم حتى بلغ الراهب وهو لايزال يعالج فتح الباب الخارجي وحال بينه وبين الخروج ثم أفرغ رصاصات المسدس بأجمعها فى رأسه . فسقط ذلك الخائن الاكبر عدو الروسيا الالد على الارض فاقد الحياة . ونجت الروسيا فى هذه المرة نجاة حقيقية بفضل البطل الوطني العظيم ستيبانوف الذى عرف كيف يخلص وطنه بصدق العزيمة وجلائل الاعمال لابالتشدق بكثرة الاقوال

وبعد عشر دقائق حضر الدكتور ستانيسلاس . . . فى عربة مقفلة يرشده جندى مرتد بثوبه العسكرى الرسمي اسمه إيفان ف . . . فحمل هذان القادمان ومعهما الوطني الغيور الهمام ستيبانوف جثة الراهب فى المركبة وساروا به .

وبقي الامير يوسوبوف وبقية رفاقه المتآمرين معه على

إهلاك ذلك الرجل الذي كان سبباً مباشرا أو غير مباشر في قتل مئات الالوف من الجنود الانجليزية والفرنسوية في ميادين القتال المتعددة بدسائسه الهائلة الموجهة ضد الحلفاء وبترويجه الدعوة الالمانية .

وسار الوطنيون الثلاثة بالجثة الهامدة التي لا يزال يتدلى على صدرها ذلك الصليب الذهبي المرصع حتى بلغوا بها قنطرة بيتروفسكي .

وكان تساقط الجليد لا يزال على أشد مايكون والظلام حالكا جدا والطرق مقفرة من المارة . فوقفوا بالمركبة ما بين الدعامتين الثانية والثالثة من دعائم القنطرة وبحثوا سطح الماء المتجمد فوجدوا فتحة واسعة في الثلج موصلة الى الماء المختفي تحت الثلج . فرفعوا الجثة وأرادوا القاءها في هذا الموضع من النهر . وفيما هم عازمون على قذفها واذا بيد الراهب قد أطبقت على ثياب العسكري فارتاع هذا الشخص وصاح وهو مذهول :

ـ أهذه لعنة ساقطة عليّ لانني اشتركت في هذا العمل؟

فأجاب ستيباتوف الوطني المشتعل غيرة وحمية والذي لا تتغلب على عقله أمثال هذه الخرافات :

— لعنة أو غير لعنة لا بد من ذهابه الى بئس القرار !

ثم ألقوه بعنف فدوى الجسم وانتشر صوت سقوطه فى الجو الهادىء بدرجة تصم الآذان ثم ساد السكون ثانية واختفى هذا الدجال الهائل في تلك اللجة العميقة . ثم أسرع الثلاثة الى الاتوموبيل فركبوه وأسرعوا بالابتعاد حالا عن ذلك المكان .

وأخذ البوليس بناء على أمر القيصر يوالي البحث عن الراهب على غير جدوى . وكان الغيظ والغم والخوف قد استولت على قلب القيصرة الى درجة لا مثيل لها فارسلت الى القيصر وهو فى ميدان القتال التلغراف الآتى بتاريخ ٣١ ديسمبر

« أصدر أمرك الى ماكنسيموفيتش بالقبض على ديمترى (الجراندوق) باسمك . فان ديمترى أراد مقابلتي اليوم فرفضت رؤيته . لم نوجد الجثة حتى الآن : » . اليك »

فرد القيصر بأنه سيتخذ الاجراآت اللازمة وانه قد أرسل الجراندوق نيقولا منفياً الى أراضيه . وما كانت كل هذه الامور لتخفف من لواعجها وآلامها فقد حدث فراغ في مكان راسبوتين لديها لايمكن سده الا انها رأت في اليوم التالي ان ترسل الى زوجها

شاكرة ومخبرة بوجود الجثة فبعث بالتلغراف الآتي :

« اشكرك على تلغرافك . لقد وجدت الجثة في النهير . »

« البك »

وكان البوليس في اثناء بحثه المتوالي قد اهتدى الى اتوموبيل ملوث بالدماء على بعد بضعة كيلو مترات من المدينة فظن في بادىء الامر انه ملك احد الجراندوقين ولكن تلوثه بالدماء نفى هذه المظنة فأدرك البوليس حينئذ ان هذا الاتوموبيل اول دلائل الجناية . ثم عثر بمداس ملوث بالدم علم انه مداس راسبوتين وكان على مقربة من مكان القاء الجثة . فأنزل الغواصين في النهر وبعد طول البحث في قاع النهر امكن اكتشاف الجثة على مقربة من الشاطيء قرب المكان الذي القيت فيه . فأخذت الجثة الى القصر القيصري حيث دفنت في قبر خاص هناك بعد ان راته القيصرة ولبثت تبكي امام الجثة اكثر من نصف ساعة وانا فيروبوفا واقفة بجانبها توالي الصلاة على روح ذلك الراهب

وحضر القيصر من ساحة القتال فاشترك في الحزن على صديقه ومشيره الخاص . وبعد ايام قلائل بدات الصحف تنشر معلومات وجيزة عن هذه الحادثة مصحوبة بتفاصيل عن تواريخ اهم رجالها . وعلم جمهور الروسيين بالخبر ولكنه لم يعلم بمكان الموت ولا بالجناة وقد صدق ظن القيصرة اذ قالت لانا فيروبوفا حينما انبأها لاول مرة بموت راسبوتين .

— افمات ! امات الاب المقدس ! وا اسفاه فان موته هو القضاء المبرم على اسرة رومانوف !

نعم صدق ظنها فانه لم يمض اكثر من ثلاثة اشهر على موت جريجوار راسبوتين حتى وقع القيصر بيده صك تنازله عن الملك ثم كان ما يعرفه القراء

❊ تم ❊





مذكرات

مسز اسكويث

وهي المذكرات المدهشة ذات الشهرة الذائعه

التي كشفت بها مس مرجوت اسكويث

الستار عن اعمال كبار رجال انجلترا

وقد عربها وتولى طبعها احمد رفعت

وستظهر قريباً جدا